

الطريق

إلى

مس

الم

عبد الرحمن

فضيلة الإمام العلامة نور الدين

علي جمعة

مفتي الديار المصرية

الكتاب

الكتاب للصبي للإنتاج والتوزيع والنشر

الطريق إلى الله

إفـضـيـلـة الإمام العلامـة
نور الدين
علي جمعة
مفتي الديار المصرية

العاقل

الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
تراثاً أمانة في أعناقنا

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لشركة الوابل الصيب

للإنتاج والتوزيع والنشر

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٥٨٧/٢٠٠٧

الترقيم الدولي I.S.B.N.

٩٧٧-٦٢١٤-٠٣-٧



الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

تراثنا... أمانة في أعناقنا

٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٥٠٨٧٣٨٣ - ٢٠٢ + - ٢٥٠٧٦١٤٥ - ٢٠٢ +

E-Mail: Info@Alwabell.com

www.alwabell.com

www.alimamalallama.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبع هداهم إلى يوم الدين، وبعد..

هذا الكتاب هو عبارة عن نتاج تفريغ سلسلة دروس ألقاها فضيلة العلامة الشيخ/ علي جمعة بمسجد العشيرة المحمدية بالدراسة على مدار أحد عشر درساً عام ٢٠٠١م، بين فيها فضيلته معالم الطريق إلى الله تعالى، وكيفية تخطي العقبات التي تقابل السالك، والتبصرة بالآفات التي قد تلحق المريد أثناء سيره؛ وكيفية التخلص منها، وهذا كله قد خرج من قلب قد وعى الشريعة والحقيقة، ممن قد خاض هذا البحر وسبر غوره، مربٍّ فاضل قد سلك كثير من طلاب الحق والحقيقة على يديه؛ فأرشدهم ووجههم حتى وصلوا إلى شاطئ الأمان وبر العرفان، وهو -حفظه الله- في هذه الدروس قد لخص ما حصّل من أنوار وبركات وفيوضات مشايخه الذين كانوا أقطاب عصرهم وقدوة زمانهم؛ فهو بذلك -جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير- قد مهّد الطريق لكل من أراد الوصول، وزلزل الصعاب لكل من أراد التمسك بالأصول، وبالله التوفيق.

الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حديث جبريل وأنه أصل بنت عليه الأمة علوم: الفقه، والعقيدة، والتزكية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه إلى يوم الدين.

أما بعد... فهذا كتاب: (الطريق إلى الله) والذي نتعرض فيه لشرح مراحل السير إلى الله تعالى، وما أبداه أهل السلوك والمعرفة بالله في هذا الشأن من معانٍ دقيقة، ومدارك رقيقة، في كيفية السلوك والسير إلى الحق سبحانه.

وأول ما نستهل به كلامنا هو حديث جبريل المشهور، الذي اشتمل على معالم الدين الكبرى، والذي أخرجه الأئمة الكبار، واهتموا به، وجعلوه من الأحاديث التي توضح دين الله، وفي آخره يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١).

وجبريل عليه السلام كان يأتي في صورة مرئية للصحابة، مرة في صورة صحابي اسمه: دحية الكلبي، وكان دحية جميل الهيئة، وقد أرسله النبي ﷺ للسفارة مرات، أي أنه كان سفيراً عن المسلمين عند غير المسلمين، فكان

(١) رواه مسلم.

سيدنا جبريل عليه السلام يأتي المسلمين في صورة دحية، وكان بعضهم يدرك أنه جبريل إذا ما ظهرت بعض الظواهر الخارقة للعادة حوله، كأن يختفي فجأة، أو يظهر فجأة، وكأن يكون بينهم من غير إدراك لبداية دخوله، ولا لنهاية انصرافه.

فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ، فجلس إليه جلوس المتعلم إلى معلمه، ووضع يديه على فخذه، أي : على فخذي جبريل، وسأله: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَقَالَ عُمَرُ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!!؛ لَأَنَّ السُّؤَالَ يَقْتَضِي الْاسْتِفْهَامَ، وَالْاسْتِفْهَامَ طَلِبُ الْمَعْرِفَةِ، وَتَصَدِيقُهُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَاجْتِمَاعُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ عَجِيبٌ.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وقد جعل العلماء هذا الحديث سبباً لتحصيل العلوم الشرعية، فأقاموا علومًا تحفظ الإيمان أسموها: (علم التوحيد)، أو: (علم الكلام)، أو: (علم العقائد)، أو: (أصول الدين).

وفي هذا العلم نقل العلماء لنا كل ما أمكن من أسئلة، وإجابات عن الأسئلة، فيما يتعلق بالإيمان بالله، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وجعلوا علم التوحيد هذا على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: يتكلمون فيه عن الله: ما يجب، وما يستحيل، وما يجوز في





حقه ﷺ.. وكيف ذلك؟ ومن أين أتوا بذل من الكتاب والسنة.

الباب الثاني: جعلوه عن النبوات، وتكلموا فيه عن صفات الرسل الكرام، وما يجب، وما يستحيل، وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

الباب الثالث: جعلوه في السمعيات، وهي الأمور التي جاءت إلينا من قبيل السمع لا من قبيل الفكر، والنظر، والعقل، والتفكير، والتدبر، كاليوم الآخر، والجنة، والنار، والصراط، والميزان، والحساب، والملائكة، والجن، وغير ذلك مما جاء في القرآن والسنة فآمنّا به، فهذا العلم الشريف قام بمرتبة الإيمان.

وأقاموا الفقه ليحافظ على الإسلام، فتكلموا في الفقه، وأصلوا فيه حتى زادت الفروع الفقهية عن مليون فرع فقهي، مصدرها كلها الكتاب والسنة.

وقد اختلف الناس في فهم الكتاب والسنة فيما يتعلق بالفقه، فكانت هناك المذاهب الفقهية، وكانت أكثر من تسعين مذهبًا، وبعد ذلك رأوا أن هذه المذاهب تتشابه، وفي بعضها لم يكن للعالم بعد وفاته تلامذة يقومون بمذهبه، ويبلغونه لمن بعدهم، ولذلك قامت هذه المذاهب، وكانت حوالي خمسة وتسعين مذهبًا، فذهب منها ما ذهب، وبقي منها ما بقي، حتى صارت المذاهب الثمانية الباقية إلى يومنا هذا، منها أربعة مشهورة، وهي مذهب: الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، ومنها أربعة غير مشهورة، لأن عدد المتبعين لها قليل، وهي: الجعفرية (ويتبعها الشيعة)، والإباضية (ويتبعها أهل عمان وبعض أهل الجزائر)، والزيدية (ويتبعها بعض أهل اليمن)، والظاهرية (ويتبعها قليل جدًا من أهل المغرب).

فأصبح هناك على سبيل الشيوع التام الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، وقد مات



سنة مائة وخمسين من الهجرة، عن سبعين سنة، فهو من مواليد سنة ثمانين،
ومائة، وقد مات سنة مائة وسبع وسبعين من الهجرة، عن سن بلغ أربعاً
وخمسين سنة، أو ثمانين وسبعين سنة، لأنه من مواليد سنة تسعين، أو سنة ست
وسبعين، والإمام السافعي مات عن أربع وخمسين سنة، لأنه ولد سنة مائة
وخمسين من الهجرة، ومات سنة أربع ومائتين، والإمام أحمد بن حنبل ولد
سنة أربع وستين ومائة، ومات سنة مائتين وواحد وربعين ومائة، فهو ثلاثة
لأنه الذين نقلوا له القصة وحفظوا عليه، لأن هذا القصة موروثة عن
الصحابة والأئمة المجتهدين عبر الزمن،



(باب)

التصوف علمٌ مبني على الكتاب والسنة وعلى ما عمل به الصالحون وجربوه في إطار الكتاب والسنة

ثم بعد ذلك بقي جوهر الدين وأساسه، وهو التزكية، أو هو مرتبة الإحسان، فالتفت إليها الناس، وكما أن العقيدة حفظت بعلم التوحيد، والشريعة حفظت بعلم الفقه، قام علم السلوك والتزكية بحفظ مرتبة الإحسان، وبدأ الناس يصنفون، ويراقبون أنفسهم في طريق الله الذي يوصل إليه، وفيه يسير العبد إلى الله، ويعبد الله كأنه يراه.

تأمل العابدون في أنفسهم، وسجلوا تجاربهم، لينتفع بها من بعدهم. فنشأ هذا العلم، وهو علم التصوف، فعلم التصوف له مصدران:

المصدر الأول: الكتاب والسنة، والمصدر الثاني: هو الواقع والتجربة.

ومن هنا اعترض كثير من الناس على التصوف؛ لأنهم لم يُصدّقوا ما عليه الغُباد من أحوال، وما سَطَّروه من تدرج في مراقبي العبودية، وما سجلوه من أحوال تطرأ عليهم، أرادوا بها أن يفيدوا من خلفهم، فتشكك بعض الناس، ولذلك قال الأئمة لهم: (من ذاق عرف، ومن عرف اغترف)؛ لأنه إذا ذاق، وخالطت حلاوة الإيمان قلبه، اغترف، وطلب الزيادة، ولم يعد يكفيه أن يأخذ الأمر رشفة رشفة، ولا رشفة رشفة، ولا نقطة نقطة؛ بل يريد أن يغترف من المعرفة، وأن ينهل من هذا الجمال الرباني، وهذه الحلاوة الربانية.

اعترى لي الله التصوف عدم مبني على الكتاب والسنة وعلى ما عمل به الصالحون وجربوه في إطار الكتاب والسنة



وهذا ما أدركه هرف في عندما سأل أب شيبان عن الدين يؤمنون أيزيدون أم يفضون، فقال أبو شيبان بن يزيديون، قال: «وكذلك الإيمان حين نحاط شائنة القلوب». بمصده أنها لا نخرج بعد ذلك أبدا، فالصوفية قدموا، وسخلوا أحوالهم في ظل الكذب والسنة، ومطلفهم في ذلك هو الوصول إلى الله.



(١) رواه البخاري في صحيحه: (٨/١)، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وفي عدة مواضع في الصحيح. ومسلم في صحيحه: (١٣٩٥/٣)، وابن حبان في صحيحه: (٤٩٤/١٤) وغيرهم.



(باب)

من قواعد الطريق إلى الله : أن الله مقصود الكل

أول قاعدة عند السالكين إلى الله هي قولهم: (الله مقصود الكل)، وهذه العبارة من العبارات البليغة، التي تُكوّن أسس الطريق وأصوله، فمن أراد أن يكتبها وأن يحفظها فليكتب: (الله مقصود الكل).

وهذا هو الذي تسأل عنه المشايخ في مفتتح سلوكك إلى الله، تسألهم: ما المقصود؟ فيردون ويقولون: الله... وقد يعرف السائل المقصود والمعنى الذي تقصده؟ لكنه لا يراه؛ لأنه مستغرق مع الله يذكر ربه، أنا أسأله عن معنى الكلام؟ أو عما يعني؟ فإذا به يذكر أنه متوجه بالكلية إلى الله، فيقول: الله... وهذا هو حال المشايخ الكبار، ومن هنا قالوا: (الله مقصود الكل)؛ أي أن كل الأولياء والمشايخ الكبار كان مقصودهم هو الله ﷻ، وشبهوا السعي إلى الله تعالى، والذي هو مقصود الكل، شَبَّهوه بطريق توصلك إلى الله تعالى في نهايته، كأن الله في نهاية طريق بين المريد وبين المراد، بين العبد وبين الخالق ﷻ، فأسموا ما يسرون فيه من عبادة بالطريق؛ لأنهم رأوا أن هذا التشبيه هو أقرب شيء يستطيعون أن يصفوا به ما توصلوا إليه من معارف وأذواق. وما توصلوا إليه من عبادة، ومن أفعال، ومن سلوك مع الله، شَبَّهوا هذا بالطريق فأسموه: (الطريق إلى الله).





(باب)

ومن قواعد الطريق : أن ملتفتاً في طريق الله لا يصل

قالوا في هذا الطريق قاعدة أخرى: (ملتفت لا يصل)، فإذا كنا في طريق، وأردنا أن نصل إلى نهايته، فعليه أن نسعى. وأن نسير فيه غير ملتفتين عن يسارنا أو عن يميننا. فلو سرت مثلاً في طريق ممتلي بالمبهرات، وبالأضواء، وبـ (الفاترينات)... إلخ، فوقفت إلى كل (فاترينة) أشاهد، وأدخل المتجر، وأسرح في الداخل. فإن العمر يضيع في هذه الالتفاتات، والأعمار تتفاوت، والزمن كالسيف إن لم تقطعه قطعك. قال الإمام الشافعي: (سرت مع الصوفية فاستفدت منهم أن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

(ملتفت لا يصل)!! أصل كبير من أصول الأدب مع الله، ومن هنا وحب أن يكون العمل حالصاً لله، لا ألتفت إلى الأنوار، ولا إلى الأسرار، ولا إلى الملك، ولا إلى الملكوت، ولا إلى التجليات، ولا إلى غير ذلك، إنما المقصود هو الله.

من أجل ذلك إذا ذكر العابد ربه فإن الذكر يجلي قلبه، ويجعله كالمرآة، وإذا صار القلب كالمرآة انعكست عليه أنوار الربوبية، وانعكاس أنوار الربوبية يحدث لذة عجيبة، ليس لها مقابيل في اللغات بحيث يمكن أن نشبهها، أو أن نتكلم عنها وحولها، ولا يمكن أن ننقل كنهها، ولا يعرفها إلا من جرّبها؛ فإن من ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ولا يمكن أن نعرف إلا بالتجربة، وبترويض النفس.





تذكر أول خطوة في الصلوة، وهو يؤدي إلى صل الصل، ويحس
القلب كالمسراة، ومنفت لا يصل، فدا ذكرت الله، فحدث لك خدو.
فالشعب بهذا الخارق، فقد دحب في السهرات، وبدأت في الالفات.
وهذا هو بداية الانحراف، حيث دحب في السهرات، فكون ذلك غير
مخلص مع الله.



(باب)

وجود الشيخ المُربّي ضرورة في السير إلى الله

اشترط الصوفية وجود الشيخ في طريق السير إلى الله، لأنه هو الذي يوجه المريد أن يعود مرة ثانية إلى الطريق، وأسموه بالشيخ المرشد، وجعلوا الشيخ بناءً على التجربة التي لا تعارض الكتاب والسنة بل تنبع منهما، وفيها تأييد من الكتاب والسنة، على ما كان حال النبي ﷺ مع الصحابة، وعلى ما كان حال الصحابة مع التابعين إلى يومنا هذا.

وقد جعلوا الشيخ أنواعاً ودرجات، فهناك: (الشيخ المرشد) وهو من يعلم الطريق، ويعلم المبهرات التي حوله، ويعلم كيف يتجنبها السالك، ويعلم كيف ينصح؟ وكيف يُعلّم الأدب مع الله؟ لأن الأدب مع الله هو الركن الركين في الطريق، والله هو مقصود الكل، فالشيخ يحاول مع المريد أن يصل به إلى الأدب مع الله، وأول ما يعلمه من أبواب الأدب: الذكر، وثاني ما يُعلّمه: عدم الالتفات عن الله، الذي هو مقصود الكل.

وقد يكون الشيخ: (مرشداً تاماً)، وهو الذي يسمى بالوارث المحمدي، والوارث المحمدي يراعي تلامذته ومريديه حتى على الغير، فإن الله ﷻ من شدة صفاء ذلك المرشد الكامل، ومن شدة صقل قلبه تنعكس على ذلك القلب الأحوال الحادثة مع المريد، حتى مع نفسه، فرأوا - عن تجربة - أنه إذا ما رأى الشيخ المريد فإن الله يكشف له مساوئ ذلك المريد ونقصه، ومع ذلك لا يتأثر لهذا النقص، ولذلك لا نخاف من أن يظن ظناً سيئاً في المريد، لأنه



نعلم أن الشخص قد استولى على جملة استبر إلا من عصمه الله. إنما العرض من اصلاخ السج على هذا هو أن يربي المرشد بناء على معرفته تام بأحواله، وأن يسه. وأن يدلّه على الخير، وأن يكسب نفسه، وأن يجديه بما هو فيه من انحراف - إن كان - وأن يعود به إلى الطريق، وأن يدفعه فيه.

فطريق إدراك لا سبل له دائماً - وفي كل حال المرشد التام، بل قد يكون هناك مرشد فقط ويكتفى به. وهذا رزق الله بالمرشد الكامن كان أولى





(باب)

أركان الطريق إلى الله؛

الشيخ، والمريد، والمنهج،

وأن الباطن والظاهر وجهان لشيء واحد لا يتعارضان أبدًا

لما رأى الصوفية أن هناك: شيخًا، ومريدًا، وطريقًا، أسموا هذا بأركان الطريق إلى الله (الشيخ، والمريد، والطريق) وكتبوا في آداب الشيخ كيف يكون؟ فقالوا: لا بد عليه أن يكون مدركًا للحقيقة، فتكلموا على أن هذا الكون له ظاهر وله باطن، له مدرك يشترك فيه كل أحد، وله حقيقة لا يعرفها إلا الخواص، فقسموا الناس إلى: عوام، وخواص، وخواص الخواص. وقسموا الأمر كله إلى: ظاهر، وباطن، واكتشفوا أن الباطن لا يعارض الظاهر، ولا يكر عليه بالبطلان، وهذا من رحمة الله بنا، وبعض القاصرين ظن أن الباطن يعارض الظاهر، وأنه يكر عليه بالبطلان. فوصفهم أئمة الصوفية بكل صفة خسيئة، بل جهل مرة، وبالفسق مرة، وبالزندقة مرة، وبالكفر مرة، وهكذا: لأن الصحيح أن الباطن لا يخالف الظاهر. بل هو يؤيده، ويحققه، ويرسخ مقاصده، ويحقق غاياته.

فهم قد رأوا الظاهر مثل دوران الأرض. وأنها تدور حول نفسها، وتدور حول الشمس، إلا أن الظاهر للعيان هو أن الشمس هي التي تتحرك، والظاهر في الماء مثلاً أن الذي أمامنا هو ماء، ثم عند الحقيقة تبين أنه مكون من



عَدَس. من هبذرو حبل واد كسجبن. أحدهم يستعز. والآخر يساعد على الاستعزال، فوصفنا إلى شيء عجيب هذا الذي أمامه أو باراً، الظاهر أنه ماء، والحقيقة أنه نار. بعض الفاضل فهموا أن هذا تعريض، والصوفية لم يفهموا هذا، بل فهموا أن الشريعة الشريف إسماء لضبط الظاهر والباطن معاً. وأن الظاهر مهم، وأن بركة كبر، ولكن هذا لا يمنع أن نكون هناك حقيقة، وأن هذه الحقيقة تتعمق فيها. ونكتشفها شيئاً فشيئاً، كنه لا نكر على الظاهر بالصلوات، فهو جاء واحد وقال أن لا أوصي فقلت له لماذا لا أوصي؟! فتنكر إلى السماء وقال لأن هذا نار، وأن أحس على حدي أن يحترق فبدأ نعه من المحسن. لأن هذا ماء وليس ناراً. وإن كان هو من نار، ولو قال: إني أريد أن أبيع هذا الإنسان، وأسر بي إنسان حر، ففما له لماذا؟! قال لأن المشتري يذهب إلى شيء من التراب، وهذا الإنسان مكون من تراب في حقيقته، فله أنت مجنون، وهذا ليس تراباً، وكلامك بحال الكذب والسوء؛ لأنه هو من تراب، وليس هو تراب، ولا يجوز لك أن تبيع الحر، ولا هذا المشتري سيسفح بهذا التراب، وإن كان هو من تراب، ويؤثر إلى التراب، ونش من التراب، إلا أن هذه حقيقة وليست ظاهراً.

فمن بعض الفاضل أن السدوك هو أن يذهب إلى الحقيقة ويسرك الله بعداً فكلهم الصوفية بعدة جامعة حبه فدلوا (من تشزع ولم يحقق فقد نفسه). لأنه ينكر علمه، وينكر حقيقة، وينكر جوهر الدين، وينكر ما من أحله حق الله السدوك والأرض، (ومن حقق ولم يشزع فقد تردق). لأن الذي يقول إن هذا نار، وهو يقصد الماء، فهو كذاب رنديق. أرد بذلك أن يخرج على الشرع الشريف.



لم يفهم كثير من الناس هذه الحقيقة فعادوا التصوف، واعتبروا أن الصوفية يدعون إلى الزندقة، والأمر ليس كذلك؛ لأن الصوفية يدعون إلى الشريعة المؤيدة بالحقيقة، يدعون إلى أن تكون هذه الحقيقة مما يزيدنا أدباً مع الله. لا مما يبطل عبادتنا مع الله، الصوفية يفهمون أن هذا جزء من الطريق إلى الله.





(بَاب)

السَّيرُ إِلَى اللَّهِ يَزُولُ مَعَهُ التَّكْلُفُ

وَلَكِنَّهُ لَا يُسْقَطُ التَّكْلِيفُ أَبَدًا

الصوفية - وهم يسرون في الطريق إلى الله - وصلوا إلى مرحلة أنهم لم تعد هناك مشقة في أفعالهم، في بداية سنوهم كان أحدهم يقوم الليل تعبًا وذكرًا فيجد مشقة، وتغالبه نفسه، ويريد أن ينام، ويذهب ليتوضأ في الشتاء فتؤذيه لسعة البرد فلا يريد أن يتوضأ، ويقاوم نفسه، ويصبر. ويتوضأ، ثم هو يجد نفسه بعد ذلك يتلذذ بذلك القيام، وتطيب له تلك اللسعة التي كانت تؤذيه من قبل، ويسعى إليها، وكأنه يسعى إلى شيء محبب إلى نفسه، فزال عنه التكلف الذي هو المشقة والاستثقال للعبادة، فعثر عن ذلك وقال: أنا الآن لا أجد التكلف لله؛ لأنه إنما يفعل ذلك حبًا وشوقًا لله، ففهم القاصرون من عبارة الأكابر أنهم لا يُصَلُّون، ولا يتوضئون!!

فانظر الآن إلى الفارق الضخم ما بين الأمرين، شخص يعبد الله إلى أن يصل إلى أن تصير عبادته طبعًا يقصد فيه الله تعالى لذاته، وحبه فيه سبحانه وتعالى يدفعه إلى زوال المشقة من أفعاله، فأين هذا من تلك الدعوة الخبيثة التي يتهمون بها الصوفية من أنهم قد أسقطوا التكليف!!؟

الشيخ يقول: إن المشقة قد زالت، ولا يقول: إن الصلاة قد زالت، إنما يقول: أنا أصلي ولا أشعر بأي نوع من أنواع التعب، ولا الملل، ولا السَّامة،





والنبي ﷺ يقول: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»^(١).

فاسلك الصدق يصل إلى حبل لا يسل معه. بل يحد أنه كتب صلى علا
فله مع الله تعالى. ورحاه. ورغب فيما عنده. ويمتنى فله بعد شريفته.
مغابرة للمشقة والتعب وغير ذلك مما يحاهده عوام الناس.



(١) رواه البخاري في صحيحه: (٣٨٦/١)، ومسلم في صحيحه: (٥٤٠/١)، وابن حبان في
صحيحه: (٦٧/٢)، وابن خزيمة في صحيحه: (٦١/٣)، وأبو داود في سننه: (٤٨/٢) كلهم
من حديث عائشة ؓ، ورواه ابن ماجه في سننه: (١٤١٧/٢)، والطبراني في المعجم
الأوسط: (١٠٧/٤) من حديث جابر.





(باب)

من قواعد الطريق إلى الله : أن العبرة بمن صدق ، وليست بمن سبق

الصوفية وهم يسعون في هذا الطريق وجدوا أنه قد يفتح على المريد في لحظة بما لا يفتح على الآخر. فقالوا: (إن العبرة بمن صدق، وليست العبرة بمن سبق). وقالوا: (قد تسبق العرجاء)، يشيرون إلى مثل مشهور عند العرب، معناه أن الشاة العرجاء قد تسبق الشاة التي ليست بعرجاء، لأحوال وظروف تتوفر للأولى ولا تتوفر للثانية، فأشار أهل السلوك بهذا المثل إلى أن اللاحق المتأخر الذي تقاعد زمناً عن سلوك الطريق لعله أن تنهض همته، فيقبل على الله بهمة، يسبق بها من سار قبله، فلعل الله أخره ليقدمه، أي أن الله وَعَلَىٰ أخره زماناً، وجعله في آخر السالكين لحكمة، حتى يكون إمامهم وسابقهم.

واستأنسوا لذلك بأن النبي ﷺ كان آخر الأنبياء ، فكان إمامهم، وهذا المعنى مهم جداً في تجديد الهمة، وإخراج أهل المعصية من حال الحرج، والشعور المذل بالإثم، مما يحبط العبد، ويقطعه عن مولاه، فإذا علم أن الصدق في السلوك إلى الحق يطوي له المسافات، ولربما جاوز بها من سبقه في الطريق انبعثت همته، وتجدد نشاطه، وانتعش أمله، وأقبل على الله تعالى من جديد.

إذن كل الساعين والسائرين في هذا الطريق إنما يريدون الله ﷻ، فالله هو مقصود الكل، وأن هدف هذا الطريق هو أن نتعلم الأدب مع الله، وأن الأدب مع الله إنما يكون بـ : التوبة، وبالتوكل، وبالحب في الله، والبغض في الله،



وعبادته الله، وبالاستعانة بالله، وبالمنة بما في يد الله. إلى غير ذلك مما فضله
 من فضله. إن شاء الله تعالى. ثبت فثبت، حتى نتعلم الأدب مع الله

وأن هذا الشيخ الذي تصدر لتربيته ينبغي أن يتصف بصفات، وأن يتخلق
 بأخلاق. ومن الأخلاق إمام هي ورثة محمدية عن سبب رسول الله ﷺ،
 حيث يتشبه به، ويتخلق بأخلاقه، ويحاول أن يتبعها، وأن يجعل رسول الله ﷺ
 أسوته الحسنة. وقد كتب في شيء من صفات الشيخ، والآن نذكر شيئاً من
 صفات الطريق.

وقبل ذلك نقول: يجب علينا أن نحدد هذه الأشياء، لأن هذه هي القواعد
 التي لخصوها في حقائق الأمور، ولخصوا بها تحريّة الساعين إلى الله، وهذه
 الحقائق هي مخصص الشرع الشريف، حيث أحدوا ما أمر به الله ورسوله.
 مع تحريتهم بروحبه التي هي التطبيق الإنساني لحي الأمر الشرعي، وجعلوا
 تحريتهم في إطار ما أمر الله ورسوله، وتبينوا الطريق إلى الله بالطريق الحسي
 الذي يسير فيه الإنسان، وهناك على حاسي الطريق فنن. وهي عبارة عن
 شهوات الدنيا وشوائبها، وهي عبده أبداً عما تفتح للإنسان في طريقه إلى
 الله ﷻ من حيرة. والإنسان سأل نفسه: من العاينة هي أن يلتذ بهذا الطريق^{١١٤} أو
 أن الغاية هي أن يعبد الله ﷻ وحده، فإذا ما وجد الإنسان لذة أو حالة فلا
 يسعى عليه أن يلتفت إليها، بل عليه أن يسمو في سعيه، وآلا يلتفت إلى هذه
 اللذة، ولا إلى هذا التمتع. ولا إلى هذا الكشف، ولا إلى أي شاغل عن الله ﷻ.



(باب)

بيان معنى السير إلى الله، وبيان معنى التخلي والتحلي والتجلي

الإنسان يسير في طريق الله، لكن ما معنى: (السير في طريق الله)؟؟ معناه أنه يبدأ بالتوبة، وما معنى التوبة؟ معناها أن ينخلع من المعاصي، وأن يعاهد نفسه على أن يترك المعاصي، وأن يعطل ملك السيئات، أي يجعل ملك السيئات لا يكتب عليه شيئاً.

هذا الانخلاع له درجات: أولها انخلاع من المعصية، المعصية هي التي يقول عنها الشرع: إن هذا حرام، فالإنسان قرّر مع نفسه ألا يفعل هذا الحرام.

هناك توبة أخرى وهي: الانخلاع من كل ما يشغل البال أو القلب عن الله، من ولد، ومن مال، ومن حب للأكوان، وللسلطة، وللجاه، وللشهوات، الإنسان هنا لم يرتكب حراماً لكي يتوب منه، فهو قد تركه، لكنه الآن يتوب من شيء آخر، يتوب من الانشغال عن الله، وكأن الانشغال عن الله -وهو أمر يقع فيه جُلُّ البشر- معصية، لا.. هو ليس معصية، لكن كأنه معصية، وهو لعلو همته يعتبره في حقه معصية، فيخلي قلبه من شواغل الدنيا ومشاغلها.

(يخلي قلبه): هذه كلمة وقف عندها السادة الصوفية كثيراً، وقفوا عند التخلي من القبح، ويأتي بعدها عندهم معنى آخر، وهو أن: (يخلي قلبه) بكل صحيح، وهذه هي التحلية.

إذن فهناك مرحلتان وهما: (التخلية، والتحلية)، التخلية تفريغ القلب من



الشواغل والمشغل، والتحلية هي تحصيل القلب بهذه الصفات العالية من
التوكل، ومن الحب في الله، ومن الاعتماد على الله، ومن الثقة بالله في يد الله .
إلخ.

والسالك إلى الله لا يزال إلى الآن في المرحلة الأولى من الطريق، ومن
توبة، فإنه حتى قبله من المسح، وحلّى قلبه بالصحيح، لكن تأتي توبة أخرى
بعد ذلك، في مرحلة ثانية، ينسوف فيها قلب هذا التقي التقى، الذي حلّى قلبه
من الشواغل والمشغل، وحلّى نفسه وحوارحه من المعصية، ثم حلّى فيه من
الشوائب، ثم حلّى فيه سلك المعاني الفائقة الرائقة، وهو في كل ذلك يريد
من الله ﷻ أن يتجلّى عليه.

هذا التجبي يأتي بعد التحلي والتجلي، فما معنى التجبي؟ معناه كتب
قالب السادة الصوفية: "لنخلق بأحلاق الله، فالله تعالى رحيم، فلا بد من أن
نكون رحماء، والله تعالى رؤوف، فلا بد من أن نكون كذلك، والله تعالى عفور
فلا بد أن نكون متسامحين، يعفو لأخروس، ويصبح الإنسان في رضاء عن الله .
عنده نسيم ثم بقدر الله، هذا الرضاء وهذا التسليم يدخل قلبه على ثلاث
مراحل:

المرحلة الأولى: هي مرحلة يسلم فيها بأمر الله، ويقاوم نفسه من الاعتراض،
ومن الحزن؛ فهو بحزن، لكنه يستمع نفسه من أن يعترض على أمر الله، وهو
أصل يبكي ليل نهار على فقدان الولد مثلاً، لكنه ساكن القلب إلى حكمة الله
تعالى.

والمرحلة الثانية: لا يحزن، فهو مات له ابن أو أصابته مصيبة فإنه يضحك،
والسبب اليقين في لطف الله وحكمته.





المرحلة الثالثة: يبكي. لأنه يستحضر في نفسه أن الله قد أفقده هذا العزيز لديه الآن من أجل أن يبكي، فهو لا يبكي حزناً إنما هو يبكي لله، وهذا هو الذي كان عليه مقام النبوة وأكابر الأولياء؛ فلما فقد النبي ﷺ ابنه إبراهيم بكى^(١).

وفي حديث آخر أنه قد أُرْسِلَت ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنْ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأَتِنَا. فَأَرْسَلَ يَقْرَأُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَضَبِّرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَّهَا. فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَهُوَ فِي النَّزْعِ. فَقَاصَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»^(٢).

والنبي ﷺ يبكي على إبراهيم، ولكنه يبكي لأن الله قد قدر لمن أصيب بمصيبة أن يبكي؛ فالأول يبكي حزناً، والثاني يضحك رضا، والثالث يبكي مرة ثانية قهراً تحت سلطان الله سبحانه وتعالى، واستجابة لمقتضى ما أجراه الحق في هذا الوقت المخصوص من أحوال. وكأن الله أرادني الآن أن أحزن فأنا أحزن لذلك.

(١) الحديث في بكائه ﷺ بموت ولده سيدنا إبراهيم رواه البخاري في صحيحه: (٤٣٩، ١)، وابن حبان في صحيحه: (١٦٢/٧)، والحاكم في المستدرک: (٤٣/٤)، وأبوداود في سننه: (١٩٣/٣) وغيرهم كثير.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: (٤٣١/١)، ومسلم في صحيحه: (٦٣٥/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦٥/٤).





فاتوبة إذن أول الطريق، وهي مراحل أولها: توبة من المعصية، ثم توبة من الأكوام بالتخلية والتخلي، ثم بعد ذلك توبة من كل شيء سوى الله، ومن ثم بعد سوى الله، تجلي الله عنه بصفاته، فكان عبداً ربانياً، بدعو الله ويقول يا رب، فسنحجب الله له، وكان عبداً ربانياً في رصده لله، وفي سلبه لأمر الله. لا يريد على ذلك عليه، ويكون بذلك قد فعل هذا الشيء الذي يسمى التوبة. فكيف السبيل إذن؟ ولما التوبة هذه مرحلة من عشر مراحل، يعالج كل مرحلة منها، نحن الآن في أول الطريق إلى الله وهو: التوبة.

فما الذي يحدث لي أثناء هذه التوبة؟

أولاً: أن أتوب عن المعاصي.

ثانياً: التخلية والتخلي.

ثالثاً: مرحلة التجلي والرضا التام تحت قهر الله.





(باب)

بيان أن السير إلى الله فيه تعامل مع المَلَك والمَلَكُوت والأنوار والأسرار

وهذه الخطوة هي الأولى في الطريق. وهذه المرحلة الأولى أسير فيها إلى الله. فما الذي يحدث؟

لدينا أربعة أشياء، لا بد من أن نفهمها حتى نستوعب هذا الذي قلناه وهي: الأسرار، والأنوار، والمَلَك، والمَلَكُوت.

أما المَلَك: فهو الذي نشاهده في العالم، وهو كل ما كان قابلاً للمشاهدة. وهو هذا العالم الذي نحيا فيه.

وأما المَلَكُوت: فهو المَلَأ الأعلى. حيث الملائكة. تعبد الله تعالى، وترتل له كلامه، وتسجد وتركع لعظمته. ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

وأما الأسرار: فهي كل جديد لم يكتشفه الإنسان، سواء اكتشفه الآخرون أو لا.

وأما الأنوار: فهي هذا الذي يضيئ الظلام، حسياً كان أو معنوياً، ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، والنبى ﷺ أرسله الله رحمة، ووصفه فقال: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٣).

(١) سورة التحريم، آية: [٦].

(٢) سورة النور، آية: [٣٥].

(٣) سورة الأحزاب، آية: [٤٦].





والإسراء وهو في طريقه إلى الله تعالى تنتج له بعض أسرار الملك. ومن أسرار الملك خصائص الأعشاب والنبات. ومن أسرار الملك هو عدد البنيان. ومن أسرار الملك قواعد الحكم، والاجتماع البشري، وهذه الأسرار يدركها المسلم والكافر، وتكتشف من قبل البشر. وعرف الناس وهم على الكثير كتب بنون الأهرام، وكتب يحفظون بالسنونى هذه الأحال البعيدة، وعرفوا خصائص الأدوية، سواء كتب من الطب الطبيعي أو كتب من الطب الصاعى. وعرفوا أنبياء كبره بالسحر (والنيسكوب) و(الميكروسكوب)، وما زال ما لا يعرفونه أكثر مما يعرفونه.

والإسراء تكتشف كل يوم ملابس المعومات الجديدة ولا ستهي، وتكتشف اكتشف معومات جاءت مع المعومات أسئلة. نقرأ من أربعين أو خمسين سؤالاً، أى أنهم إذا اكتشفوا في اليوم مائة معومات، فهناك أربعون سؤالاً قد جئت، وهى تحتاج إلى إجابة، وكل هذا يتعلق بأسرار الملك.

ولكن الإسراء أبعد في طريقه إلى الله، يحدث له الكشف لهذه الأسرار، وهو الذى يسمى بالكشف. فمثلاً سمع هو وعد في الخلوة، أو في الصلاة، أو وهو سمي في طريقه فتح عليه مسألة كويته، فسمع ما قد يعلمه انفسه. ويعلم ما قد يعلمه الكبيبات. إما سمع، وإما في بعض الجوانب. فبعلم من فوائس الكون، أو بعضه، أو جزء منه. وهناك من الناس من إذا فتح عليه هذا السر وكشف له سره معه، وهناك من يعنى عليه مرة ثانية فيستكشف له لمدة خمس دقائق ويعتبر عدد ذلك، بعد خمس. سمع الطيب يردد نفس الذى فتح عليه في الابتداء، يقول: نعم أنا أعلم ولكنني نسيت.



(باب)

بيان معنى الكشف والفتح

أنهما لا عبرة بهما إلا إذا ازداد بهما العبد أدباً مع الله

والكشف والفتح معناهما: الإدراك، ومعرفة الأسرار، فلا أسرار الملكية هذا شيء تافه، لا تعلق به همم الأكابر. ولنفرض أن الولي قد فتح عليه بكل أسرار أهل الأرض، وبكل علوم أهل الأرض، حتى عرف ذلك كله وأحاط به، فما الذي يستفيده من هذا؟ إذا لم يستفد بهذا أدباً مع الله فليس بشيء، ويكون هو والكافر سيان؛ لأن الكافر يعلم كل هذا، فإذا لم تكن هذه المعلومات تعلمه كيف يتأدب مع الله فهذا علم لا ينفع، والجهل به لا يضر. فنحن مثلاً فئة معينة، لنا تخصصات معينة، ولا نعرف الطب ولا الهندسة ولا خلافة، فما الذي ضررنا؟ لا شيء؛ لأن غيري قام بها وتعلمها، ولكل واحد تخصصه. أما هذا الفتح أو الكشف إذا زاده أدباً مع الله، كان هذا هو المقصود، وكان هذا هو المتبع.

بعض الناس والعياذ بالله - لم يكن إخلاصهم تاماً، فعندما يُكشف له شيء من هذا يبدأ في التلاعب، وليس في السير إلى طريق الله، فيغتر بنفسه، ويتعالى على الناس، ويستغل ما عرفه من كشف للأسرار في تحصيل الدنيا، مآلاً، وجاهاً، وسمعة، وشهوات، أو أي شيء آخر، فإن هو فعل ذلك فقد التفت عن طريق الله. هذا الشيء يحدث أثناء السير في أمور المعاش، فكأنني مررت بـ (فاترينة) فوقفت أمامها، ودخلت المحل، وتركت السير لنهاية الطريق، فدخلت هذا المحل يعطيني، ويمنع من الوصول.



إذا أصبح أو انكشف شيء من أسرار الملك، فإن السعير بأسرار الملك وتحصيلها عن الله فقد ضيعت نفسك، في حين أن الناس جميعاً يستعدون على تولي من وراء الله، لأنهم أعلم من هذه الأسرار، ولا يستطيعون ذلك إلا بأمر الملك، لقلب الذي قد جرى عن الصبح، حتى لا يصحح، فإن وقتك عند إدراك أسرار الملك فلتك مصيبة، لأنه قد كشف لك ما لم تكن الله قد استقصوه، وإنما تحصيل شيء من الأدب

وهناك أسرار أعظم من أسرار الملك، وهي أسرار الملكوت، إذ تنكشف أسرارها بطريق رئيسي إلى الله، حينئذ تنكشف أسرار الملكوت سواء كان من أسرار أحد أو كل الملائكة، من الأسرار فإن ذلك سبب، ويظهر من رادته أدب مع الله برضا وسلب لا مبره يعنى ؟ أو أنها راد، طغبات، ونحصيلها للملك، واستعدلا بهذه المعرفة، فإن رادته في طريق الله أدب كسب هذه هي المستقصودة، وإذا حصل فيها الدنيا، حصدها فيه حرج عن طريق الله ويصل ولا يصل، وهذا معنى قوله (مستعد لا يصل)، لأنه السعير بالأسرار التي انكشفت من عالم الملك أو من عالم الملكوت.

فلذلك هذا نوع آخر من الاستعداد الحقيقى وأدق من هذا، وهو الاستعداد بالأسرار، أو الاستعداد بالأنوار، فالعبد عند ربه، فيسألني عنه نوراً، وهو حارس في الحلوة، وهي مضمة ليس فيها كثرة، فدبها نصيب، فيجد لذة في فيه، ويوجد نورا في فيه، وكل هذا من أنوار الملك، وهذا يحدث للمسلم والمكفر، لمرهون في الكائنات يحصل لهم هذا، والبرذون واليهودوس يحصل لهم هذا، يحصل لهم من أنوار الملك، فإن السعير في السالك إلى الله عن الله كان نكراً، أو فرح به، أو استعجب، أو عده الله محصنها، بأن يذكر الله تعالى وقوله منكشف





إلى أن ينور اليوم، مثلما ننور بالأمس فهذا لعب؛ لأنه قد توجه إلى الصوارف دون الله تعالى، وانشغل والتفت، وملتفت لا يصل.

وأعمق من هذا: ما كان من أنوار الملكوت، لأنه ينكشف له الملاء الأعلى؛ فلو انشغل به عن الله فإنه يكون غير مؤدب ولا يصل.

فينبغي على العابد أن يراعي نفسه وهو في طريقه إلى الله، ولا ينشغل عنه **بشئ** بانكشاف أسرار الملك، ولا أسرار الملكوت، ولا ينشغل بأنوار الملك، ولا بأنوار الملكوت، بل إن ذلك من تلبس إبليس. يحاول أن يصدّه عن الله، وأن يشوش عليه أمره، وأن يجعل عبادته لتحصيل لذة العبادة وليس لرضا الله، فنحن نعبد الله حصلنا لذة أو لم نحصل، كشفت لنا أسراراً أو لم تنكشف، غرقنا في الأنوار أو لم نغرق، أو لم تأتينا أنوار بالمرة، لأن المقصود هو الله.



(باب)

عودة إلى بيان معنى أن: ملتفتاً في طريق الله لا يصل

هذه واحدة من المواعيد الأساسية، التي يتكلمون عنها في طريق الله، (ملتفت في طريق الله لا يصل)، ومعنى (الالتفات) الاشتغال بغير الله، ومعنى هذا أنه لو حدث لنا انكشاف للأسرار، أو فيوضات من الأنوار، فإننا نحمد الله ونستمر، ومن هنا كان أولياء الله يقولون: إذا ما كشف لنا شيء دعونا الله أن يسده عنا. أي: نحن لا نريده، وقالوا: إن الكشف يحدث لمن كان في أول الطريق، فمن كان في وسطه أو في نهايته لا يحدث له كشف؛ أي أنه كلما ترقى الإنسان في عبوديته لله يغلق عنه هذا الكشف، ويعود مرة أخرى كشخص عادي، ليس معه هذه الخاصية، ولا هو يريد لها؛ لأن المقصود هو إخلاص العبادة لله، وفي الحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١).

أما من أراد أن يدخل الدنيا، أو أن يستلذ بنفسه فيها، فهذه بدعة، وشهوة شيطانية، وليست منحة رحمانية.

وعندما سأل أحدهم أبا يزيد البسطامي: مالي أعبد الله وأجتهد في العبادة ولا أجد لذة في قلبي؟ قال له: لأنك عبدت العبادة، أعبد الله تجد لذة العبادة.

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣/١، برقم (١) باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الرُّوحِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.



« هذا معنى دقيق جداً، فضلاً عن قسمة أصلي ليس. الله من أجل أن افوز
نفسى في الصباح أو في الليل، أم وإلى الله فهو فانه سوف لله. وفارق كبير
ودقيق جداً بين الحالين.

لا أن يقول لنفسه أن فانه سر. لا أحد رأى. ولم يعمد شهادى لا الهى.
ولا يلقى. ولا أحد، وأن احتفى عبادى عنهم، ولكنهم حقيقهم وهو فى داخل
قلبه يقول لنفسه: أحسنت إذ قمت الليل، قم كل يوم هكذا.

« الذى فهو من حب لله. لا فى ذمت، أن احداً يريد أن لا يراه. أو أن
أحد يقول عنه أنه لا يراه، من لا يراه له بهاء لأسباب مختلفة، ولا تسمى من
ذلك يريد حتى ذهبت. لا يسمي في فانه غير الله. فأنه من سبب كسر. فليس يريد
يقول: (عبدتم العبادة فلم تجدوا لذتها، اعبد الله تجد لذة العبادة).

وقد ورد عن عبد القادر الجيلاني، أنه كان جالساً في خلوته المظلمة،
فصعدت نوراً من أنوار السموات، فسمعت صوت من الله، قال: يا عبد القادر.
فأننى في روعة أن الله حصصه. فإن كنت. فإن أن أحببك، فإن قدست كرم
بدن المسيح في نطعمه أن فى لسانه فإن وفورك إنك. فإن فيه سبب الدموع
من عسى. فإن واحسنت لك الحرام ففان يسبح عبد القادر احسنت لعين. فإن
له ذمت مسخرة، فهو حرام. ثم سقط حتى تفكر من سكن أو لا؟ ففان علاوة
هذا لله وعنده هو عرف. عرف الحقائق من أول دخوله الحرام. أو دخله
وهو على حبه. فإن تصدق انوار، فسمعت صوت من الله فأننى أصبح من يحول الصوت
حسناً جداً ففان يقول له: أخرج من سبب عباد من ديوان العبودية بها
من عبد القادر، ولكن عسنت حرك، عسى أن هناك سبب عبادا حصل منهم هذا
الأن قدسوا أنت - ربى. اسبى الأسر من صلي. ثم سالى إله مرة ثانية ففان





معه نفس الأمر، فيقول له: أنا طوع أمرك، فيخرج من طريق الله إلى طريق الشيطان.

فهؤلاء الذين عرفوا الله، وأقبلوا عليه وحده، هم أهل الله. وهذه تجربتهم، وقد اتضحت أهميتها، وأهمية الأخذ بها، لأنني لو تركت تراثهم وتعاليمهم وبدأت أجرب من جديد، ولا أبالي بهذه الأحكام ولا بهذه التجربة، وأقول لنفسي كما قال هؤلاء العباد السبعون: هذا يمكن؛ حيث إنني رأيت نورًا ولذة ما بعدها لذة، وحالة ما بعدها حالة.

فنحن نقول، لكنه أمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وكل هذه الخرافات أنت بعون الله أقوى منها، وستكون تحت سيطرتك إن صدقت، ولا تسيطر هي علي، فهذه التجربة هي التي جعلتنا نستمع لأولياء الله، نستمع لكلماتهم ونسترشد بهم، ونعرف منهم: ما معنى الطريق؟ وما معنى الالتفات؟ وما معنى الكشف؟ وما معنى التحلية؟ وما معنى التخلية؟ وما معنى التجلي؟ وما معنى الوصول؟ وما معنى التوبة؟ وما معنى الرضا؟ وما معنى التسليم؟ وما معنى التوكل؟ وما معنى الذكر؟ وما معنى العبادة؟ وما معنى الاستعانة؟.. إلخ، وما شروط كل واحدة؟ وما الذي يحدث عندما نفعل كذا وكذا وكذا؟ وكيف أعيش هذه المعاني، وكيف أطبق أوامر الله تعالى على نحو عملي صحيح؟ وذلك لأنهم التزموا بالكتاب، واستنوا بسنة سيد الأنام؛ ولأنهم جربوا هذا على فترات واسعة طويلة، وعاشوا الصادقين أهل البصيرة والمعرفة، الذين أرشدوهم وعرفوهم مزالق الطريق، وعلموهم كيف يسلكون إلى الله على بصيرة.





هذا هو طريق الله بدار فيه بالسوء، والهروى جعلها عسر مراحل، وبين
أنه في طرق: إياك نعبد وإياك نستعين. وثالث كتاب أسماء (منازل
السالكين، بين إياك نعبد وإياك نستعين)، وتترجمه أس العبد في كتاب (مدارج
السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).



(باب)

بيان مراتب النفس البشرية وكيفية التعامل مع كل مرتبة

مما تكلم فيه الصوفية: (النفس البشرية)، وأنها تمر بسبع مراحل:

المرحلة الأولى: هي النفس الأمّارة بالسوء، **والثانية:** هي النفس اللوامة، التي تلوم صاحبها على فعل المعصية، أو على تخلفه عن الكمال، **والثالثة:** النفس الملهمة، **والرابعة:** النفس الراضية، **والخامسة:** النفس المرضية، **والسادسة:** النفس مطمئنة، **والسابعة:** النفس الكاملة.

وقالوا: إن هذا الطريق الذي بين العابد وبين الله تعالى، والذي يفضي في نهايته إلى الله ﷻ، فيه سبعون ألف حجاب، وفي كل نفس منها عشرة آلاف حجاب، وأن كل نفس ينتقل منها الإنسان إلى ما بعدها فإنه ينتقل باسم من أسمائه تعالى يذكره، حتى يصل إلى تربية نفسه، وزوال حجبها، فيصل بعد ذلك إلى مرتبة أخرى من مراتب النفس، وأن كل نفس من هذه النفوس لها صفاتها، ولها اسم معين من أسماء الله، تذكره به، ولها خصائصها، ولها علاماتها، التي يستطيع السالك بموجبها أن ينتقل من نفس إلى نفس، أي من مستوى إلى مستوى، فينتقل بالتالي من ذكر إلى ذكر، ثم بعد ذلك، وبعد نهاية هذه النفوس، والوصول إلى النفس الكاملة يدخل في عبادة الله أبداً؛ فالعبادة لا تنقطع.

وقد حذّروا في طريق الله من العقائد الفاسدة، ومن القول بسقوط التكليف كما رأينا، ومن القول بأن الله قد اتحد في العابد، ومن القول بأنه رأى الملك على هيئته وسمعه، وحذّروا من القول بأنه قد دخل الجنة وأكل

مهيأ، وحذروا من أمور أن هذا الكون هو الله، فهذا كله ضل وفاسد وممنوع، وهكذا.

وحذروا من أمور في الصرىق، وأمرها بالأمور، ووضحو، وشعوا، وهذا هو الذي ستأخذه شيئاً فستأخذ، ثم بعد ذلك، انتهى من آداب الصرىق بدخل في آداب السخ، وبدخل بعد ذلك في آداب العريضة، فثم له بذلك أركان السبر إلى الحق حل شدة، وهي السخ، والعريضة، والحدس الذي يسر فيه العريضة إلى الله تعالى.

وقد تكلمت عن طريق الله، وإن هذا الصرىق يقصد فيه السالك الله تعالى، فعليه هو مقصود الكل، وإن يسعى على العريضة وهو سائر في طريق الله ألا ينتفع من نفسه ولا عن سائر الله هذا السبر، حتى لا يسأل عن الله، وقبلنا إن هذا المكنات معه أن نعلم الإنسان نفسه، أو بعد ذلك أو تذكره أو ما يظهره الله على بيده بأنه من انكشف الأسرار، أو امتلاء بالأسرار، وقد تكلمت عن المكنات السبحة، وعن السكرت المعيب، عنكم الغيب والشهادة، والله جل شأنه هو رب الملك والملوك؛ فالشهادة هي الملك، والغيب هو الملوك.

وتكلمت عن الأسرار والآثار، وإن للإنسان وهو سائر في طريق الله، عبادته بالصلاة، وبالذكر، وبالإلهاء، وبالخلاص، وبالسبحي من كل قسح، وبالسبحي بكل صحيح، فكشف له بعض أسرار السب، وتكلمت به بعض أسرار العيب، وسبني فيه بعض أسرار العيب، وتكلمت فيه بعض أسرار العيب، فعليه ألا ينتفع بأي كل ذلك، بل عليه ذلك أن يستحق عظمه مولا، وأن يرجع ذلك إلى ربه، وإن يعود دائماً إلى الله، وإن جعل الله هو مقصوده، فلا تنافى بالله في عيبه، أنت، ولا تفرح بالله في حب، وإن يفعل ذلك لله، لا لتحصيل لذة العبد.

(١) سورة الأنعام، آية: [٧٣].

ولا لتحصيل أنوار، ولا لكشف أسرار، ولا لحدوث كرامات.

فتكلمنا عن كل ذلك، وقلنا: إن الله مقصود الكل، وقلنا: إن ملتفتًا لا يصل.. فماذا يفعل الإنسان في هذا الطريق؟

جاء جبريل عليه السلام يعلم الناس أمر دينهم، فقال سيدنا عمر رضي الله عنه: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الشَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ -يعني على هيئة المتأدب مع سيدنا رسول الله ﷺ- وسأله: يا رسول الله ما الإسلام؟ فأجابه، فقال: صدقت. فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ)؛ لأن المفترض في السائل أنه يسأل ليتعلم، ولكن جبريل عليه السلام جاء يسأل ليعلم، وملخص ما قاله أن الإسلام هو إقامة الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، هذه كأنها هي السمات التي ينبغي علينا أن نحصلها، الآنية التي ينبغي علينا أن نحصلها، حتى يضع الله فيها أنواره، ويكشف من خلالها أسرارها، ومن غير هذا لا يمكن أن نحصل الأنوار الربانية، ولا أن نكشف لنا الأسرار الصمدانية، فلا بد من هذه الشريعة المطهرة تحققًا والتزامًا، في الظاهر والباطن.

فهذه الأشياء التي شرعها الله لنا هي التي توصلنا إليه، وهي الأساس، لا تسقط أبدًا، ولا تنتهي، والوصول إلى الله لا يعني أبدًا أن نترك الآنية أو نكسرهما، بل كان النبي ﷺ كلما زاد ربه في شرفه ومقداره يقوم الليل حتى

تتورم قدماه، ويقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

فلا بد في الطريق اه لا من أن يستكمل السالك الإيمان، ولذلك في كثير من الأحيان يذهب إلى الشيخ حتى يأخذ الطريق، فمضحت السطح ويقول: أتم إسلامك أولاً.

فكيف سم إسلامه؟ الإسلام يتم بفعل الواجب والانتفاء عن المحرمات. فإذا استكملنا الإسلام وأصبح تاماً، فإن بدأ يستكمل الإيمان، فإذا أكمل الإيمان وأصبح تاماً، فإنه يدخل في الطريق إلى الله، فلا أدخل في الطريق ويست معي الأدوات. لأنه من هذه الأدوات: لأنه صريق طويل، ولأن طريقه به طريق طويل مع العسر، من السهل إلى السهل، ولذلك لابد من أن يستشير هذه المؤسسات التي توضح إلى الله، يوصل بها إليه، ويوصل بها إليه، ويحلي بها القلب من كل فتح من نحو الحسد، والعن، والجبن، والركون إلى الدنيا، والشرك بالله ولو كان خفياً.

وإذا نضج من السك، فلو حصل من أهل الناس برائهم بها، فقد أفسد عبادته، هذا هو مضمون شرك، والتفان البص من شرك، والخوف من غير الله أصل من شرك الحقي. مع أن مسلم أصلي وأصوب وأعد، ولكن ما زال في سعة بالذات، ومادة القلب تعلق بالذات فلا يمكن أن يرى لا أنواراً ولا أسراراً، ولا يمكن أن يمد بعيداً، ولا يمكن أن يتقدم في طريق الله، فلا بد من تخليب القلب من كل صفة قبيحة، ولا بد من أن ننهض إلى التوبة عن الدنيا.

(١) رواه البخاري في صحيحه: (٢٣٧٥/٥) من حديث المغيرة بن شعبه، ومن حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه مسلم في صحيحه: (٢١٧١/٤) كذلك، ورواه الضياء المقدسي في المختارة: (١٠١/٧) من حديث أسر، ورواه ابن خزيمة في صحيحه: (٢٠١/٢) من حديث أبي هريرة.

والتوبة كما قلنا درجات: توبة عن المعصية، وتوبة عن الالتفات عن الله، وتوبة عن الدنيا والأكوان؛ فتخيل قلب المؤمن وهو خال مما سوى الله، خال من الدنيا ولا تعلق له بها، فما معنى أنه لا يتعلق بها؟ معناه أنه: لا يفرح بالموجود، ولا يحزن على المفقود، أي أنه وصل إلى حالة تامة من التوكل على الله. ووصل إلى الرضا والتسليم، وإذا وصل القلب إلى هذه الدرجة من الرضا والتسليم، والتوكل على الله، وعدم التعلق بالدنيا، فإنه لا يفرح بموجود، ولا يحزن على مفقود، ويشعر بحلاوة الذكر، ويشعر بحلاوة الإيمان، وإذا ما دخلت حلاوة الإيمان قلباً فإنها لا تخرج منه أبداً، قال الحق جل شأنه ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١)، فقلوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يعني وجود ضعف، كأنه يقول: لم يحدث بعد أن تحقق اتصافكم بالإيمان؛ لأنهم يؤمنون بعقولهم أن هناك إلهاً، وأن النبي ﷺ رسول، لكن قلوبهم لم تدخلها حلاوة الإيمان، ورسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(٢).

والإنسان يصل إلى هذه الحالة عندما يكون قلبه متعلقاً بالله، فهذه الحالة التي يعيش فيها المؤمن حالة تجعله يتقدم شيئاً فشيئاً في طريق الله.

(١) سورة الحجرات، آية: [١٤].

(٢) رواه البخاري في صحيحه: (١٤ ١)، ومسلم في صحيحه: (٦٦ ١)، قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٣ ٢): (معنى حلاوة الإيمان: اشتدّاذ الطاعات، وتحمّل المشقات في رضا الله ﷻ، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، ومحبّة العبد ربه - سبحانه وتعالى - بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك محبة رسول الله ﷺ).

وعندما نأمل في ما الأحسان قال: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَتَعْبُدَ إِلَهًا غَيْرَهُ (كَأَنَّكَ تَرَاهُ) أَيُّ مَن تَعْبُدُ أَنْ تَرَاهُ. وَلَكِنْ هِيَ يَسْمُونَهَا (كَأَنَّكَ تَرَاهُ) إِذَا هِيَ لَسْتَ بِرُؤْيَا حَقِيقَةٍ. إِنَّمَا هِيَ رُؤْيَا تَسْلِيلٍ. يَعْنِي كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَهِيَ سَبَبُ الرُّؤْيَا لَكِنَّهُ لَيْسَ بِرُؤْيَا لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُبْرَى فِي الْمَدَى لَا تُصَدَّرُ. إِنَّمَا تَعْبُدُ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ:

قلوب العارفين لها غيور * ترى ما لا يراه الناظرون

فالغيور ليست هي الغيور التي نراها وصف وموافق. بل الغيور تكون في البصيرة، فتكون أعلى من هي عند في البصيرة. فقلوب العارفين لها غيور أي بصيرة، وبوصيرة. وبوصيرة الله، فتكون ما لا يراه الناس، الذين اعتدوا الرتبة الحسية بعبودهم هذه. لأن الله تعالى: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْغَفِيُّ الْخَبِيرُ. وَاللَّهُ لَا يَحِيطُ بِهِ حِدٌ. وَلَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ مَعْلَةٌ

وموسى كلم الله قال الله في نبيه: "وَلَمَّا حَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَى وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْحِلِّ وَبِئْسَ تَقَرُّ مَكَانَهُ. فَسَوْفَ تَرَى فَلَمَّا بَلَغَ رَجُلًا لِّلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا" (١).

فهذا شيء فوق صف البشر، وفوق صف الأكرام، ولا يرى بالعيون المجردة هذه. ولذلك لم يجر على حال المؤمنين في الآخرة قال: "وَنُوحٌ يَوْمَئِذٍ قَاضٍ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ" (٣) فذكر الوجه وليس العين.

(١) سورة الأنعام، آية: [١٠٣].

(٢) سورة الأعراف، آية: [١٤٣].

(٣) سورة القيامة، آية: [٢٢، ٢٢].

(اعبد الله كأنك تراه) يعني راقب نفسك المراقبة التامة المستمرة، لدرجة أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يراقب نفسه بالأنفاس، فلا يدخل نفس إلا وهو يتأمل، ويتدبر، ويستحضر عظمة الله، ولا يؤمل أن يخرج، أي أنه ينتظر الموت دائماً، وبصفة مستمرة، ولا يخرج نفس ويأمل أن يدخل، فهل مثل هذا الإنسان تصدر منه المعصية؟! هل مثل هذا الاستحضر يصدر معه التقصير؟ هل مثل هذه الحالة يصدر منها الظلم؟ دائماً سيكون مع الله، مع هذه الفكرة الدائمة، يقول: (اعبد الله كأنك تراه) ويعني بها مقام المراقبة.

ثم تأتي مرحلة أخرى: (فإن لم تكن تراه فهو يراك) هذه مرتبة أقل من المرتبة الأولى، فإنك لا تستطيع أن تكون دائم الذكر له على هذه المرتبة العالية، التي وصل إليها عمر رضي الله عنه وأولياء الله الصالحون رضي الله تعالى عن الجميع، فاعلم أنه سبحانه يراك، ويعلم سرّك ونجواك، فاتق وخف.

وقرأها بعض العارفين قراءة أخرى فمعنى: (اعبد الله كأنك تراه) أنك لا تنسى أبداً، وليستمر ذلك معك طوال يومك حتى تصل إلى درجة الفناء (فإن لم تكن) فإذا فנית عن نفسك، وعرفت أن وجودك يحتاج إليه تعالى وهو لا يحتاج إليك، ووجدت أن الوجود الحقيقي إنما هو وجوده تعالى ووجودنا إنما هو وجود عارض، وحادث، وفانٍ، وله نهاية، (تراه) فإنك تصل إلى مرحلة الرؤية، (فهو يراك) فالفضل من قبل ومن بعد الله وحده.

وهنا توصل أهل الله إلى شيء في العقيدة مستقر بين جميع المسلمين، من أن الله هو: الحي القيوم، الأول والآخر، الظاهر والباطن، وأنه على كل شيء قدير.

وأسماء الله الحسنی التي في القرآن مائة وثمانية وخمسون اسماً، وأسماء



الله الحسنى التي وردت في حديث أبي حمزة عن رواته أبي هريرة تسعة وتسعون اسمًا^(١).

والسالك في الطريق إلى الله كالسائر في الطريق الحسني، والنفس البشرية لها أحوار، والنفس كذب عند الله عز وجل، فأمرنا في جسد الإنسان، فحجب بذلك الجسد، وهي تتوكل إلى ربها، وفي تتوكلها إلى ربها حجب عنه حجب كثير. وقد نظر أهل الله فوجدوا أنها نحو من سبعين ألف حجب، وقسموا النفس إلى ثلاثة أقسام، وبعضهم قسمها إلى سبعة، ووجدوا أن بين كل مرحلة ومرحلة أحادي من الحجب ما يحجب الإنسان عن ربه، الذي هو المقصود لكل، والطريق أبعد قسمه إلى مراحل، وأول هذه النفوس هي النفس الأمارة بالسوء وتكتشف الإنسان وهو في طريقه إلى الله أن هناك أربعة أسباب، تعوق سببه إلى ربه سبحانه أولها نفسه، والثاني الشيطان، والثالث، النهوى. والرابع: الدنيا.

وهذه الأعداء إما كذب أعداء لبي آدم، لأنها تحاول أن تصده عن سبيل الله، تحاول أن تحدها، وتحاول أن تجعله يخرج عن الصراط المستقيم، وعن الطريق القويم، الذي هو أقصر طرق يصل به العابد إلى ربه، فهذه الأمور الأربعة تعكر على الإنسان صغره توجّهه إلى الله عز وجل، وفي الحقيقة إن الله هذه الأعداء هي النفس؛ لأن الذي قد يكون وقد لا يكون.

(١) الحديث في أن الله تعالى تسعة وتسعين اسماً هكذا على الإجمال رواه البخاري في صحيحه: (٩٨١/٢)، ومسلم في صحيحه: (٢٠٦٣/٤)، أما تفصيل تلك الأسماء الكريمة وذكرها كاملة فقد رواه الترمذي في السنن: (٥٣١/٥)، وابن ماجه في السنن: (١٢٦٩/٢)، وقد أفرد الإمام الحافظ أبو نعيم جزءاً لطرق هذا الحديث، وانظر بحوثاً موسعة في ذلك عند الحافظ ابن حجر في فتح لباري: (٢٣٠-٢١٨/١١).



والشيطان يذهب ويجيء، والهوى يأتي ويذهب، ولكن النفس هي التي تصاحب الإنسان من الإدراك إلى الممات، ونحن نستطيع أن نميز سعيها، وحجابها، وشهوتها، عن باقي هذه الأعداء بالعود والتكرار، وهذا معنى قولهم -وهي قاعدة أيضًا-: (نفسك أعدى أعدائك).

فكيف نميز بين وسوسة الشيطان ودعوة النفس؟ فقالوا: إن وسوسة الشيطان لا تدوم، ولا تعود، ولا تتكرر. ويحاول أن يوسوس في صدور الناس، فإذا لم يستجب الإنسان لهذه الوسوسة، وقاومها، وانشغل عنها فإنه لا يعود إليها مرة ثانية. ويذهب ليوسوس له في شيء آخر، فإذا وجد الإنسان من نفسه دعوة بالكسل عن الصلاة، أو عن الذكر، أو دعوة تدعوه إلى شيء مكروه أو محرم، ثم لم يجد في نفسه ذلك بعد هذا فإن ذلك من وسواس الشيطان، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(١) فهذه أذية الشيطان، وهو ضعيف، ولا سلطان له علينا، والله ﻋَﻠَﻤَ أوكله، ولكنه أضعفه، وأبقاه، ولكنه خذله، والشيطان نستطيع أن نتقي شره من أقرب طريق، وبأبسط وسيلة، فالأذان يذهب الشيطان، والذكر يذهب الشيطان، ونقرأ خواتيم سورة البقرة فتذهب الشيطان وتُحصن المكن، ونقرأ آية الكرسي فإذا بنا نحتمي بها من الشيطان، ونذكر أذكار الصباح والمساء فإذا بنا نحصن أنفسنا من الشيطان، فالشيطان يُردُّ من أقرب طريق وبأبسط طريقة، وحياة الإنسان مع الذكر، ومع القرآن، ومع العبادة، ومع الطهارة، ومع الأذان، ومع الصلاة، ومع الصيام تجعل الشيطان يفر ويذهب.

ولكن المشكلة هي مشكلة النفس، لأن النفس تحتاج إلى تربية، والنفس

(١) سورة الناس، آية: [٤، ٥].



بعد على الإنسان دعوته إلى التقصير. ودعوته إلى الحرام، ودعوته إلى المكره مرة بعد أخرى، فإذا ما دومتها في أول مرة عادت تلح علي في المرة الثالثة. هذه هي النفس الأندرة، وذات استعملوا معها صغته المبالغة، فهي أندر على وزن فعلة، وصغته السالفة فيها تكرار، وعود، ومبالغة، وفعل كثير، فالنفس لا تأمر مرة ثم تسكت، بل إنها تلح مرة بعد مرة.

وإذا ما وجدت إلحاح على شيء لفعل الشيخ الذي أعرف أنه فيح، والذي أعرف أن فيه تقصيرا، أو فيه ذنب، ومعصية، فعني أن أعرف أن ذلك من نفسي، وأنه ينبغي علي أن أريها.

النفس الأماراة بالسوء هي أصل النفوس، عموم الناس تمرهم نفوسهم بالسوء، فإذا ما ارتقى إلى ما بعده أي إلى النفس اللوامة، وجدنا هناك نراعا بين الإنسان وبين نفسه، مرة تمره بالسكر، فيحاول أن لا يستجيب. ومرة يستجيب ثم ينوب ويرجع، ويدخل في منارعة. وفي أحد ورد معها، إلى أن تستقر على: النفس الملهمة، وهي الدرجة الثالثة من درجات النفس.

وبعضهم قال: إن هذا بداية الفناء، وأن النفوس ثلاثة: أماراة، ولوامة، وملهمة، وبعضهم قال: إننا لا نكتفي ببداية الكمال، بل علينا أن نرفى فوق ذلك إلى أن نصل إلى: الراضية، والمَرْضِيَّة، والمطمئنة، والكاملة.

وعلى كل حال، فهذه السراجل تبدأ في عموم الناس، مسلمهم وكفرهم. تبدأ بالنفس الأماراة بالسوء، إلا أن هذه النفس لأماراة عندها استعداد لأن تتحول إلى نفس لوامة، وهذه النفس اللوامة لديها استعداد لأن تتحول إلى النفس الملهمة، فالاستعداد موجود، ولكن الشائع هو أن نفس الإنسان من قبيل النفس الأماراة بالسوء.



(باب)

**في الحُجُب التي تحجب النفس عن الله تعالى ،
وأن الفكر والذكر هما سبيل الخلاص من تلك الحجب**

النفس الأمارة بالسوء محجوبة عن أنوار الله ﷻ بسبعين ألف حجاب. وكلما استطعنا أن نتخلى، أو نتخلص، أو ننفي حجاباً من الحجب تلك الحجب التي تتمثل في خصائص النفس - فإننا نحصل شيئاً من الأنوار. وتنكشف لنا بعض أسرار الملك والملكوت.

فنحن الآن في سيرنا إلى الله. وفي هذه المرحلة، حيث يتكون طريق الله من سبعين ألف خطوة، أو سبعين ألف مرحلة، أو سبعين ألف جزء، كل جزء يمثل حجاباً، كلما قضيت حجاباً كان لي أن أقضي حجاباً آخر، والعحيب أن بعض السالكين قد يقطع السبعين ألف حجاباً في يوم!! وبعض السالكين يقطع عشرة آلاف في أربعين سنة!! وهكذا. طبقاً لفتح الله عليه، ولذلك نرى المشايخ يقدمون بعض المحدثين من مريديهم على القدماء؛ لأن هذا القديم لم يقطع في السير إلى الله مثل ما قطع ذلك الحادث الجديد، فالقضية تتمثل في أنه فضل الله يؤتيه من يشاء، لا من الحول ولا من القوة.

وينبغي على السالك أن لا ينظر إلى أنه كم قطع؟ وكم بقي عليه؟ فذلك من تمام الإخلاص، وذلك يساعده في حد ذاته إلى أن يقطع أكثر، وكلما نظر إلى مكانه اشتغل به عن ربه، كأنه ينظر ويتلفت حوله، (وملتفت في طريق الله



لا يصل، حتى متى انتبى يرى كم قطع من الطريق "وكم بقى عليه" نعم
 سيكشف كم قطع من الطريق وكم بقى عليه، ولكن هذا الشعور في حد ذاته
 سيدخل عبده الإحباط، إذ كان قد عمل كثيرا وقطع قليلا، أو داخل عبده
 العجز، إذا كان قد عمل قليلا وقطع كثيرا، وكلاهما - الإحباط والعجز - يعصف
 السائر في طريقه إلى الله ﷻ.

اذن قد هداه الحجب الذي أممي حتى أنخلص منها، وأنحرف من حاله
 النفس الأمارة إلى حالة النفس اللوامة؟

نعم، يكتف واحد من هذين في تخصيص ذلك، أو تأتي له فائضة فيها
 الشعور ألف حجاب على ذلك التخصيص، إنه هم يكون بالحسنة،
 ويرسوخ، ويثرون له معنى الروحانية التي قد لا يكون لها مقابل في لغة
 الناس، لا هي لغة العرب ولا هي لغة العجم، إنه هم يشبهون الشيء بشيء،
 يشبهوا السدوك، ويشبهوا الطريق، ويشبهوا المراحل، ويشبهوا الحجب - إنح
 به هم معروف عند من معنى هذه الألفاظ، ولكن الحالة الروحانية ليس لها
 هذا في الحس، وربما منه ليست هي هوية من هي منه تقررت إلى المذهب

وحصارات القلوب من تلك الحجب، فمعنى مثلاً قلب متشعل بالديار،
 مشعل بها، حرر على مقتود، وتفرح بالوجود، ويسرى الموت، وبعض
 نفسه متخذا في الأرض، ويحصل تصحيحه ويكون أدنى، لا يريد أن يؤثر
 عنه، ولا يريد أن يعقبه في هذه، متصف بكل فصح، مشعل من كل
 صحيح، أملاً قلباً، بالذات وبالخطية، هذا الإنسان هو الذي أمامه الشعور ألف
 حجب، فكيف إذا انحصر من تلك الحجب التي هي حصارات تحصر في قلب



الإنسان؟ خطرة تخطر فتشككه في جدوى ما يفعل، أو تشككه في الثقة فيما عند الله، أو تؤكد عليه أن له حولًا وقوة مع الله ﷻ.

والإنسان يعيش في مثل هذه الأشياء دائمًا أبدًا، وإذا تخلص منها، وحاول أن يوازن نفسه، جاءه الوسواس من نفسه، أو من الشيطان، حتى يخرج من التوازن النفسي، والطمأنينة التي عليها المؤمنون، كل هذه الأشياء من الحجب التي تحجب الإنسان عن ربه، والتي تعكّر عليه طريقه، فكيف تزول تلك الحُجُب؟

وضعوا لذلك السُّبُل، منها: التفكّر في خلق السموات والأرض، وكلما تفكّر الإنسان في خلق السموات والأرض، أيقن بوحدانية الله، وأيقن بوجوده ﷻ وبِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ.

وفي كُلِّ شيء له آية * تدلُّ على أنه الواحد

كلما تدبر استصغر نفسه، ووجد أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وكلما تأمل في حقائق الدنيا عرف أنها حادثة، كانت ولم تكن من قبل، وعرف أنها فانية، وأنها إلى زوال، وأن الإنسان سوف يموت.

كلما تأمل الموت عرف حقيقة الدنيا، وأنها تافهة قليلة، وعرف أنها مزرعة للآخرة، وأنها إنما وجدت للابتلاء والعمل، كلما تدبر في ذلك هانت عليه الدنيا. فالفكر إذاً، والتدبر، والنظر في مخلوقات الله في السموات والأرض، والتأمل، والتعقل، كل ذلك أمرنا الله ﷻ به في الكتاب الكريم، وأخبرنا رسول الله ﷺ أن هناك شياطين يصد الناس عن النظر إلى السماء، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لنطرح في الله في الحجب التي تحجب النفس عن الله تعالى، وأن الفكر والذكر هما سبيل الخلاص...



وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِأَيِّتٍ أُوْلَى الْأَلْتَبِ " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ " فسر رب هت فصب،
الذكر، فهما إذا قضيتان، أولاهما: الفكر، وثانيهما: الذكر.

وقد وضع أهل الله أفكارا، يستطيع الإنسان أن يذكرها فينخلص من كثير
من الحجب. ووضعوا عددا من أسماء الله تعالى ياز - كل مرحلة من المراحل -
بحيث يعين اسم من أسمائه الحسنى، إذا استعمل به المرید هو أن الله عليه
مراحل الطريق، ورفع الله به الحجب التي تكون.

من تلك الأسماء لفظ الحلال (الله)، ومنها كلمة الوحيد (لا إله إلا
الله)، ومنها الضمير الذي يعود إلى الله ﷻ: (هو)

وجعلوا ذلك حطة يسر فيها أسرار، ووضعوا لها في إراء كل حجب
لفظ وعددا، فيقولون مثلا اذكر لفظ الحلالة سبعين ألف مرة، ولكن وحدوا
أن المریدين لا يساوي حائهم مع السبعين ألف، فوضعوا في بعض الأسرار
سبعين ألفا، وفي مراحل أخرى متقدمة جعلوها ثلاثين ألفا، وفي بعض
المراحل وضعوا خمسين ألفا. ثم بعد ذلك سطر العمل عند المسحورين على
مائة ألف. وكل ذلك مع ما يتصح عند أهل الصبيرة والصدق والمعرفة بالله
تعالى، من أن ملأمة أسماء معينة، وعدد معينة، على نفس السالك إلى الله،
والتي هي مدى سهم ذلك في تهذيب نفسه، وفهرها على استحضار معنى ذلك
الاسم الإلهي، واعتداد النفس ليتخو أو التعلق بسلوكه. وهذا الوضع أيضا
إسب هو لتجيب القلوب من تلك الحجب، ومساعدته السالك في الطريق في
إعمال فكره، وربطه بالعمل، الذي هو الذكر.

(١) سورة آل عمران، آية: (١٩٠، ١٩١)





فنبداً بلا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد التي فيها نفي للذات، وفيها تخلية للقلب وتحلية له، فيقولها مائة ألف مرة، يبدأ المريد بهذا الذكر فيحاول أن يتخلص من الحجب.. فكيف يتخلص؟ إذا ما ذكرها بيقين وباستحضار مع تمام النية، ويقرأ ما يطبق كل يوم، فبعضهم يطبق خمسة آلاف في اليوم، وبعضهم يطبق ألفاً، وبعضهم يطبق خمسمائة، فالذي يطبق خمسة آلاف سينتهي في عشرين يوماً، والذي يطبق ألفاً سينتهي في مائة يوم.

وينبغي على الإنسان أن يفعل ذلك تعبدًا لله، والتعبد معناه أنه يكون بتمام الخشوع وبتمام التفكير، ولذلك ليس من العبادة أن أذكر الآلاف في نصف ساعة، ليس هذا من العبادة، بل هو من أداء الواجب، ومن باب إثبات الحالة، حتى أكون أنهيته وفرغت منه، بينما الأمر ليس كذلك، الأمر هو أننا ينبغي علينا أن نذكر بتدبر، وتأمل، وتأني، واستحضار، وخشوع، ويقين، حتى لو لم نذكر إلا مائة في اليوم، فإن المقصود هو حضور القلب، والمقصود هو معالجة ذلك القلب، والمقصود هو خدمة ذلك القلب، والمقصود في النهاية هو الله.

فلا بد إذاً من أن نسير بتؤدة، وبتأن، وبذكر، لا نشغل فيه حتى بالعدد، ومن هنا لما أمر المشايخ الناس بأن لا يشتغلوا حتى بالعدد أثناء قيامهم به، وكان من المفروض أن يضعوا حدوداً لتلك الأعداد فأنشأوا بسبب ذلك تلك السُّبُحَة المعروفة بين الناس، وتطور إنشاؤها فبدأت بتسعة وتسعين، ثم زادت واحدة تكمل المائة، ثم وضعوا فيها علامات حتى يتبين منها الأعداد، ثم وضعوا فيها عدادات تمكن الذاكر من أن يذكر مليون مرة عليها دون أن يخطئ، ودون أن يشغل قلبه بذلك، وكل هذه التحسينات إنما كانت من أجل تفريغ قلب المؤمن في ذكره لله ﷻ، وأصبح هناك سبح تأتي لنا بمليون، وذلك





الله يصنع فيها عدادين عشرة حبات فوق المئذنة، وعشرة حبات في الحجاب. وإذا سبحنا المائة عدد من عداد الذي فوقه، فإذا انتهى عدد من العداد الآخر فيكون النبي فوق ألف، وأني نحت نكول بألف، فإذا انتهت منها فيكون قد ذكر عشرة آلاف. ثم نعدون هذا السبي مرة أخرى بأن ينقل العداد من حبة إلى حبة وهكذا ونحن عدت مائة، فمائة في عشرة آلاف سببون، أي ألف ألف، وهذا يحدث دون أن يخلط عليه الأمر، ودون أن يسعل فيه بكم عدد هل أخطأ؟ هل كذا... إلخ؟

كذلك إذا عن الطريق إلى الله... بأن هذا الطريق إلى الله المقصود منه هو الله وحده... ولا سعي على السالك فيه أن يلتفت إلى غير هذا المقصود الحسن. وقد: إن لا تلتفت قد يكون إلى التفت وقد يكون إلى السلوك قد يكون إلى الأسرار وقد يكون استعلا بالأنوار. وكل ذلك هو ما سوى الله. وما سوى الله مما رأيت أو سمعت عدت لا يسعى أن يلتفت عن الله... فالتفات في ضيقه إلى الله قد يلدت بعض أسرار التفت، أو بعض أسرار السلوك. أو سعيه إلى الاطلاع على أمور التفت أو على أنوار السلوك، ولكنه لا يسعى عليه أن يجعل ذلك مقصده، بل المقصد هو الله تعالى.

فهذه قاعدة حسنة، وهي أنه (ملتفت لا حصل)، وقاعدة أخرى حليمة، وهي أن (الله مقصود الكل)، ومعنى أن الله مقصود الكل أنه: منهما خلفت لسل واستمر من دامت تحت صدق الشرح لتبريق فابها توصيل إلى الله، ولذلك لا نعبر عن سبب سبب على سبب سبب آخر، ولا سبب سبب طريقه على سبب سبب صريفة أخرى، فطريق الله إلى الحقيقة واحد، إنه البرع من جهلة السريدين.





(باب)

في أن طريق الله يشبه الدائرة ،
وأن المسالك وإن تعددت فإنها توصل إلى مركزها

فطريق الله الذي يتوصل إليه بالمشارب المختلفة كالدائرة: الله ﷻ في مركزها، والمريد على طرفها، ومحيطها تختلف فيه أنصاف الأقطار، والكل يوصل إلى الله ﷻ، والطريق إلى الله لا بد فيه من شيخ، ولا بد أن يتأدب المريد مع الشيخ، وكل شيخ له طريقة في التربية هذه الطريقة قد تتواءم مع المريد فينجذب إليه، ويسلك على يديه، ويطرق كل يوم، وعلامة هذا الانجذاب أن يتعلم الإنسان كل يوم أدبًا جديدًا مع الله، فهو يسير في هذا الطريق فيزداد أدبًا مع الله تعالى.

فالمقياس والمعياري الذي به التقويم هو: الأدب مع الله، فإن كان هذا الطريق يجعل الإنسان مؤدبًا مع ربه، ويزداد كل يوم في ذلك الأدب، ويطرق، ويجد قلبه، فإن هذا الطريق هو الطريق الصحيح. وهذا الشيخ هو شيخه، أما إذا كان لا يتحرك، ولا يتقدم، ولا يعتبر، ولا يتعظ، فالخلل ليس في الشيخ بل في عدم التواءم بين الشيخ والمريد، أي أن رزق ذلك المريد ليس عند ذلك الشيخ، ورزق ذلك الشيخ ليس عند ذلك المريد.

ولذلك إن انصرف من تلك الطريقة وبحث عن طريقة أخرى فلا بد أن يتم ذلك بغاية الأدب والاحتشام مع الشيخ، فلا يتهمه بالقصور ولا بالتقصير،





ولا يصد له ما يطلبه من النواقص. بل النقص يكون فيه، ولذلك ينبغي عليه أن ينحوس. ولكن مع زيادة في الوفاء، والاحترام، والبصيرة، والعظيم هذا الشيخ، ومدحه في حوائه وجدوانه، ولا يتحرك بقلبه عنه، عني لا يعتد به، لأن العنة قد تكون باللسان وقد تكون بالقلب. فلاحتقر، والنعالي. والتكثير من عبة القلب. فلبس اللسان وحده هو الذي يعتد به. وإنما القلب أيضا. إذا ما أودى بصاحبه إلى الانقاص من السبح، ونقص من بقوه، إذا رزقه ليس معه، فببصرف، ولكن يصرف بغية الأدب، وبغية الاحترام والاحترام.

وهكذا أبد، فقد ذهب إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة، فلا يجد عندهم رزقه، ولكن الله تعالى كريم. فإذا رآه مخلصا، مداوما، مستمرا على السعي لمعرفة صوف الله، والسعي فيه، فإن الله يفتح عنده، ويوفقه، ويحده إلى شيخه الذي يصح معه ربه، فلا أمر بيد الله لا حول من، ولا يقوه، ولا بذلك، ولا يبحث، ولا يعلم، إنما هو بتوفيق الله رب العالمين.

وهذا مقدار من الإيمان بالغيب والاعتماد على الله لا بد منه فالسعي إلى معرفة الطريق ليس في حوز الإنسان وفوته إنما هو بتوفيق الرحمن تعالى

ثم انه هناك من أحد الطريق تبرك. وهناك من يأخذ الطريق سلوكا، أم الذي يأخذه تبرك فيه أن بعدد مسأله، فيأخذ من هدا، ويأخذ من هدا، ويأخذ من هدا، تبرك، ومسأله كانت تأخذ من مشيخ عدة الأذكار تبركا، ولكن طريق السلوك بحب أن يكون صريف واحد، وشيخ السلوك ينبغي أن يكون شيخا واحدا. فلا بد في السلوك من دأب هذا هو طريق السلوك الذي سبكه.





من أن يكون الشيخ شيخاً واحداً، لا نشارك فيه شيخاً آخر، فنأخذ من هذا ونأخذ من هذا ثم نقارن بينهما، ويبدأ المريـد يُعَيِّنُ نفسَه حَكَمًا عليهما دون أن يشعر، أو منتقياً من طريقتهما ما يريد دون أن يشعر فَيُؤَدِّي بنفسه في المهالك، وكأنه وضع نفسه بين حجرين من أحجار الرحنى تطحنه ولا يطحنها، ففي السلوك ينبغي أن يكون الطريق واحداً.



(باب)

في أن معايشة السلوك إلى الله

إما بالمعرفة وإما بالعمل والتطبيق والتذوق

كذلك معرفة الطريق، إما أن تكون بالعلم وإما أن تكون بالعمل؛ فيمكن أن نطلع على الكتب وندرك فيها أنواع النفس، وأنواع الأنوار التي تتأتى من الذكر، وندرك معنى أن يفتح الله عليك؟ ومعنى أن ملتفتاً لا يصل؟ ومعنى أن الله تعالى مقصود الكل؟ ونقرأ الكتب، ونصبح أعلم العالمين في التصوف، إلا أننا لم نسلك بعد.

والمعرفة على كل حال لا بأس بها، لأنها تساعد المريد على فهم الأمور، وتجعله أكثر أدباً مع شيخه، ومع نفسه، ومع الناس، ومع الكون الذي خلقه الله. وتعلمه كثيراً من الأدب مع الله، فالعلم علم والمعرفة معرفة، إلا أن العمل يجعل المريد يذوق، ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف كما قالوا.

والنبي ﷺ حينما مرَّ به سيدنا الحارث بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، قال له: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِدَلِكْ لَيْلِي، وَأَطْمَأَنَّ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغُونَ



ففيه، فقال: يا حارث عرفت فالزم ذلك، فليس عرف وداق حلاوه الذكر والفكر، ليس كمن علم ذلك من الكتب والصحف.

ومن عذب الأنوار، وكشفت له الأسرار، وعاش مع الله في مقدمات النبوة والنوكة والرضا والتسليم ليس كمن سمع بهذه الأمور فصدقها، ولكنه لم يمارسها، ولم يتلقها قلبه.

إذا فإدراك الطريق قد يكون عن طريق العلم، وقد يكون عن طريق التطبيق والممارسة والعمل، فماذا لو فقدنا الشيخ؟



- (١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: (٢٦٦/٣)، والبيهقي في الزهد الكبير: (ص ٣٥٥)، وعبد بن حميد في مسنده: ص ١٦٥، وابن حبان في المجروحين: (١٥٠/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: (٢٧٤/٣٨)، وغيرهم من حديث الحارث بن مالك الأشعري أو حارثة، ورواه أبو نعيم في الحلية: (٢٤٢/١)، وعبد الله بن محمد بن جعفر في طبقات المحدثين بأصبهان: (١٨٢/٤) من حديث معاذ.





(باب)

فيما ينبغي على السَّالِك إذا فَقَدَ الشَّيْخَ المُرَبِّيَّ

فَقَدَ الشَّيْخَ نَوْعَانِ: فَقَدَ نَسَبِي، أَي أَنَّ الشَّيْخَ مَوْجُودٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ بَعْدَ، أَوْ أَنَّهُ لَيْسَ مَوْجُودًا فِي بَلَدِي مِثْلًا وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي بَلَدٍ آخَرَ.

وَفَقَدَ كُلِّي، كَأَن يَكُونُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَقْبِضَنَا قَبْلَ ذَلِكَ الْعَصْرِ- قَدْ فَقَدَ مِنَ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِالْكُلِّيَّةِ.

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ يَعْنِي أَنِّي لَا أَعْرِفُهُ الْآنَ، وَلَكِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَأَعْرِفُهُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، أَوْ قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى جَهْدٍ أَكْبَرَ. فَإِنْ كَانَ فِي بَلَدٍ آخَرَ رَحَلْنَا إِلَيْهِ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي أَن يَكُونَ مُنْعَدِمًا، فَمَا الْعَمَلُ حِينَئِذٍ؟! تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ عَنْ هَذَا: فَأَلَّفَ أَحَدُهُمْ كِتَابًا أَسْمَاهُ: (هُدَايَةُ رَبِّي، عِنْدَ فَقْدِ الْمُرَبِّيِّ)، وَهَذَا الْعَنْوَانُ الرَّاقِي: (هُدَايَةُ رَبِّي، عِنْدَ فَقْدِ الْمُرَبِّيِّ) مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُرَبِّيَّ إِذَا فُقِدَ، فَلَا بُدَّ حَتَّى نَحْصِلَ عَلَيْهِ، وَنُمَثِّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا، لَا أَنْ نَسْكُتَ، وَنَتَبَطَّ، فَمَا هُوَ هَذَا الشَّيْءُ؟! قَالُوا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بِجَاهِهِ الْعَظِيمِ مَلَاذُ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ الْبَابُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا، فَإِذَا فَقَدْنَا الْمُرَبِّيَّ الَّذِي يَعْرِفُ مَسَالِكَ الطَّرِيقِ وَأَغْوَارَهُ وَوَعُورَتَهُ، وَيَعْرِفُ مَسَالِكَ النَّفْسِ وَكَيْفَ تُرَبَّى، وَيَأْخُذُ بِنَا فِي جَذْبٍ وَشَدٍّ، وَشَدَّةٍ وَرَخَاءٍ مَعْنًا، حَتَّى يَرَبِّينَا، وَيُعَلِّمَنَا الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ.



إذا فقدت ذلك السري الحاضر القادر، فيما ينبغي عليك أن تبتسب الخبر من يدى رسول الله ﷺ، يعطيك الأدب مع ربك، إلى أن تصل إلى شاطئ الأمان، فما ذلك الاتصال برسول الله؟

هو الصلاة والسلام عليه ﷺ، فتصل الصلاة على نبي الله عظيم، فصله وبوره، على وأتم من سر السك ونور السكوت، واللاهوت والرحمة، والحرية، واللاهوت، فهو السري هذا نبي، آخر، فأنسى الله سعي أن تصل به عن وسيله سرعته، وهي الصلاة عليه ﷺ، التي أمر الله بها، فقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**، **يُضَوُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**، **ثُمَّ أَمَرَ**، **بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**، **وَيَسْمُوا تَسْلِيمًا**، **وَيَسْمُوا فِي**، **أُخْرَى**، **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ**، **فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**، **قَالَ**، **عُضُّوا**، **عُضُّوا**، **فَهَذِهِ**، **هِيَ**، **حَقِيقَةُ**، **الصَّلَاةِ**، **عَلَى**، **النَّبِيِّ**، **الَّتِي**، **تَتَوَهَّاهَا**، **تُسَلِّمُونَ**، **حَقِيقَتُهَا**، **فِي**، **الْعَمَلِ**، **هِيَ**، **أَنْ**، **تَسْلِمَ**، **لَأَسْمِهِ**، **وَحِكْمِهِ**، **ثُمَّ**، **لَا**، **تَجِدُ**، **فِي**، **أَنْفُسِكُمْ**، **حَرَجًا**، **مِمَّا**، **قَضَى**، **النَّبِيُّ**، **قَالَ**، **أَنَا**، **مِنْكُمْ**، **مِثْلُ**، **الْوَالِدِ**، **لِلْوَلَدِ**، **وَهُوَ**، **صَاحِبُ**، **السَّفْعَةِ**، **وَهُوَ**، **رَحْمَةُ**، **الْعَالَمِينَ**، **وَكَانَ**، **السُّؤْمُنُ**، **رُفُوفًا**، **رَحِيمًا**، **فَهَذَا**، **النَّبِيُّ**، **الْمُصْطَفَى**، **الكَرِيمُ**، **ﷺ**، **يَنْبَغِي**، **أَنْ**، **تُسَلِّمَ**، **انْقِيَادًا**، **لَهُ**.

(١) سورة الأحزاب، آية: [٥٦].

(٢) سورة النساء، آية: [٦٥].

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه: (٢٧٩/٤)، وأبو داود في سننه: (٣/١)، والنسائي في سننه: (٣٨/١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٩١/١)، والحميدي في مسنده: (٤٣٤/٢)، وصححه الإمام النووي في المجموع: (١٢٨/٢)، وقال ابن الصلاح في فتاواه (ص ١٨٧): حديث ثابت.

هذه حقيقة الصلاة على النبي، نتلوها بالسنتنا، ونستحضر هذا المعنى في أذهاننا، ونستعد بسوكوننا وأفعالنا أن نكون طوعاً أمر النبي ﷺ فنترجم الحب الذي في قلوبنا إلى جعله أسوة حسنة نتبعها لأننا نرجو به ﷺ وبتابعه الله، ونرجو به اليوم الآخر ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

فالصلاة عليه ﷺ عظيمة، بها تستير القلوب، وتغفر الذنوب، وتستتر العيوب، وتيسر الغيوب، وكل عمل بين القبول والرد إلا الصلاة على النبي ﷺ، فهي مقبولة أبداً، من الفاسق والعاصي، لا تحتاج إلى نية، ولا تحتاج إلى إخلاص، ولا تحتاج إلى شيء لتعلقها بالجناب الأعظم ﷺ، وبها تزيد الجنة في الاتساع، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٢). ولم يشترط في ذلك لا إخلاص ولا تقوى ولا مقامات ولا غير ذلك. ولذلك فهي تصلح لمن أراد أن ينجذب إلى طريق الله ﷺ على أي حال كان فإن ذلك من الذِّكْر، والصلاة من الذِّكْر، وذكر رسول الله ﷺ جعله الله ﷻ مقروناً بذكره.

الطريق إلى الله كما قلنا: إن الله فيه هو مقصود الكل. وقلنا: إن كل الطرق توصل إلى الله، وأن طريق الله واحد، وإنما الخلاف من جهلة المريدين، وقلنا:

(١) سورة الأحزاب، آية: [٢١].

(٢) رواه مسلم في صحيحه: (٢٨٨/١)، وابن خزيمة في صحيحه: (٢١٨/١)، وأبو داود في السنن: (١٤٤/١)، عن عبد الله بن عمرو، وابن حبان في صحيحه: (١٨٥/٢)، والحاكم في المستدرک: (٧٣٥/١) عن أنس، ورواه الترمذي في سننه: (٣٥٤/٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

إن هذا الصريح يفتح إلى شيخ يرسي وهذا الشيخ قد يكون وارث محمد،
والوارث المحمدي كونه قد اتسع فيه ما ورثه رسول الله ﷺ، ففيه تحلق
أخلاق النبي المصطفى والمحيط المحسني، والمشار الأعلى، والإنسان
الكامل، لا غضب إلا لله، وقلة مفضل دائما بذكر الله، وحسن مستقر مع
الله على حال التوفيق، يهدي الله به عبدا كثيرا، وينجح الله به قلوبا كانت مغلقة،
ويعتد الله به ولين استهدى بهده، ويمكن أن يكون هذا الشيخ مرشدا كاملا
يعرف أحوال الطريق، وطريقة السالك في الله تعالى، ومراحل هذه الطريقة،
ويعلم كيف يربي المريدين.

والمرشد الكامل قد يكون له الإرشاد بالحال لا بالفضل، يجلس الإنسان
معه، فيرغمي إلى الله من غير أن يتكلم، وقد يصل أحدهم أن تكون له التربية
بالضرة، ينظر إلى المرشد فيرى به، وينفع قلب المرشد بمقدار ما في وجه شيخه
إليه من الصدق والنصيحة والشفقة مع كمال المعرفة بالله، مما يجعل كل
صيرورة الشيخ هداية وتربية، فإذا بالقلب يتخلى عن التبع، ويتحلى
بالصحيح، مما يجعله في حالة نهضة إلى الطاعات، وفي حالة تمحو فيها
عنه المعاصي، كل ذلك بالنظر.

وهذا هو حال المصطفى ﷺ، كان إذا نظر إلى أحد من المؤمنين صبره
صحيبا، وأحدث في نفسه عدله استوجبت من تعظيمهم، وتوقيرهم،
وتصديقهم، فكل الصحة تدور تعدل رسول الله ﷺ، وكيف عدلهم
بالصبر إليهم، يعنى حسوا أمامه فنظر إليهم فأحدث في نفوسهم شيء
استوجب عدالتهم، هذه الخاصية التي كانت في رسول الله ﷺ، وهذه السحنة

الربانية التي أعطاها الله لنبيه ورثها لأتقياء أمته، وبعضهم كانت له التربية بالكلام، وبعضهم بالمصاحبة، وبرؤية أحواله في الحَلِّ والترحال، وفي الغضب والرضا، وفي الضيق والبسط، فيحدث من هذا الشأن الكثير من التغير في نفس المريد، فلا بد في الطريق من الشيخ.





(باب)

في الخلوة وأنها فترة معينة يخلو فيها الإنسان إلى نفسه : لتصفيتها وتجديد معاني الإيمان فيها

ومن وسائل التربية حتى يدخل الإمام في الطريق ما ذكره الإمام المحاسبي قال: (إن الإنسان إذا عطل ملك السيئات أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه، وعرف أن طريقنا هو طريق الحق، فمن جرب ذلك ولم يجد ما قلناه فليضربنا بالنعال) هذا كلام الإمام الحارث المحاسبي. فأسموا هذا بالخلوة الأربعينية، وأخذوا دليلها من تعبد النبي ﷺ الليالي ذوات العدد في غار حراء. فكان يتزود ويذهب، يعتزل الناس، ويختلي بالعبادة، ولذلك سميت بالخلوة.

والخلوة الأربعينية أربعون يوماً، من أجها وجدنا الخلايا نشأت في المساجد وألحقت بها؛ ففي مسجد الظاهر جاشنكير خلف سيدنا الحسين تحيط الخلايا بفناء المسجد. وفي المحمدي الدمرداشي كذلك تحيط الخلايا بالمسجد، وفي مسجد العشيرة المحمدية بنى سيدنا الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم رحمته موضعاً وكتب عليها (الخلوة)، فالخلوة يدخلها الإنسان من أجل أن يقطع علائقه بالدنيا، وبالناس، وبالأحداث، وبالزمان، وبالمكان حتى يعطى ملك السيئات أربعين يوماً فتنفج الحكمة من قلبه. والحكمة أمر يصعب التعبير عنه باللسان، إنما هي انكشاف لأسرار التأدب مع الله، وأسرار كيفية السير في هذا الطريق، وأسرار الكون والملكوب، وأنوار كثيرة متداخلة





محضه. بعضه مردود إلى الملك، وبعضها مردود إلى الملكوت، وكناف
مراتب الوجود، والفيض من أن هذا هو الطريق الذي يرضه الله تعالى على عباده
وشريعة النبي المصطفى والحبیب المجتبی ﷺ.

في التذية لم يكن بغير، ولا تصلات، ولا مواصلات. ولا تقرب،
وكان هناك فسحة لموقف، للتفكير والمذكر. ولكن اليوم اصلاً يوم الإنسان
بالتكليف لحي قد لا يستطيع شرعاً أن يحلني عنها، فإذا دخل أحدهم الخلوة
وهي صعبة عزيزة في وقت الحاضر. لانشغالنا بكالف الدب التي نصارع
الذي فيها. هذا الذي كان يحدث "كنا يحاولون أن نكونوا على وصوة
دائم. كما نأه واسينفط بوضوء، ونسب نفس وصووه بوضوء، وكنا ننسوي
الباض. ففي الباض أمر، اكتشف بعض الهددكة وبعض السجوسس عدم
رأوا أن هذا الباض يحدث بهم تركيزاً في الفكر، وساحة في الكون، فهو أمر
مستند من ناحية الوجود، إلا أن النبي ﷺ أرشدنا إلى سنة، وهكذا كان حل
الذي المصطفى يرشد إلى ما يصدق الوجود بكل مسير، وإلى هذه المعاني
البرقية التي نلن أن الكون من عند الله - القرآن والكون فكلاهما صورة
للآخر، ولكن هذا صدر من الله أمراً، وهذا صدر من الله حنف، فبليسون
الباض ويكونون على طهارة كاملة، ويستقبلون في عالم جنوسهم النفس،
ويستغنون بأميرين بالذكر والفكر. أما الذكر فيقول الله بحد فيه: **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ**
الْحُسْنَىٰ وَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ويقول رسول الله ﷺ: **إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ**



أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١)، فيذكرون الله ﷻ بهذه الأذكار، بالاسم المفرد، وكانوا على ثلاثة أنحاء: إما أن يذكرونه مجردًا هكذا: الله الله الله، الرحمن الرحمن، أو يا الله يا الله يا الله.. بالنداء، وهو الشائع. لأن فيه معنى ظاهرًا، وفيه جملة مفيدة كاملة، وهو أقرب إلى الذهن والنفوس والروح. يذكرون بالأسماء الحسنى، وبعضهم يخار من سبعة؛ هذه السبعة يسمونها السبعة الأصول يبدأون فيها بلا إله إلا الله، بالنفي والإثبات، ثم بلفظ الجلالة يا الله، ثم يا هو، ثم يا حي، ثم يا قيوم، الله حي قيوم، قيل: إنه الاسم الأعظم، الذي إذا ما دُعي الله به أجاب، ثم الحق، ثم القهار، ويتم بذلك السبعة، وتختلف طريقة عن طريقة أخرى في اختيار تلك الأصول التي يرشد فيها أنها تجمع معاني الأسماء الواردة في الكتاب والسنة.

والأسماء الواردة في السنة مائة وأربعة وستون اسمًا لله تعالى، والأسماء الواردة في القرآن مائة وثمانية وخمسون اسمًا لله تعالى، والمجموع بينهما إذا ما حذفنا المكرر يصير حوالي مائتين وعشرين اسمًا لله تعالى، ولذلك روايات حديث التسعة وتسعين اسمًا اختلفت؛ ففي بعضها ما ليس في بعضها الآخر، فلو حذفنا المكررات وجمعنا الأسماء التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، والدالة عليه ﷺ لو وجدناها في حدود مائتين وعشرين اسمًا، والنبى ﷺ يقول: (... أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ،

(١) الحديث في أن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا هكذا على الإجمال رواه البخاري في صحيحه: (٩٨١/٢)، ومسلم في صحيحه: (٢٠٦٣/٤)، أما تفصيل تلك الأسماء الكريمة وذكرها كاملة فقد رواه الترمذي في السنن: (٥٣١/٥)، وابن ماجه في السنن: (١٢٦٩/٢)، وقد أفرد الإمام الحافظ أبو نعيم جرع لطرق هذا الحديث، ونظر بحوثًا موسعة في ذلك عند الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (٢١٨/١١-٢٣٠).

لغريب الى الله في الخوة وانها فترة معينة يخوف فيها الإنسان إلى نفسه : لتصفيتها وتجديد معاني الإيمان فيها

أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك. أن تجعل القرآن ربيع قلبي. ونور صدري، وجلاء حزني. وذهاب همي... الحديث»^(١).

فأنح لب هذا أن أسماء الله منها ما قد بعلمه أحد من البشر ولا يعلمه الآخرون، ومنها ما استأثر الله به في عبده، ومنها ما أنزله في كتابه وأرشد الخلق إليه.

ومن الذكر يحدث بدرج في النفس البشرية للارتقاء مع الله، ومن الذكر تتحرك الطبقات الخمس. والطوائف الخمس هذه أحوال للروح أو للنفس الدنسة، تسميها أهل الله (القلب، والروح، والسِر، والخفي، والأخفى)، وهي مراتب لا يدخل الإنسان في واحدة منها إلا إذا فرغ من قبلها، فهناك مرحلة تسمى مرحلة القلب، ثم أعلى منها الروح، ثم أعلى منها السِر حتى لعوام يتوحدون حرج السِر الإلهي ثم أعلى منها الخفي، ثم أعلى منها الأخفى، وهذه كلها إنسان في عالم السِر، ومثلها ينعكس في عالم المكنون، والسرائر نصير عسرا، ومنها بعد ذلك د، حب إلى أن ينتقل إلى عرش الرحمن، وهناك ما هو فوق عرش الرحمن سما يسمى عوالم، فكل هذا السلك والملكوت يسمى عالم الناسوت، والكون ما سوى الله رب العالمين. وهناك عالم هو عالم المحمدي، وعالم الملامهوت، وعالم الحبروت، وعالم العظموت، وهذه تحبب لله... وهذا غاية ما اطع عنده السِر. والله لا يهبط له، ولا محيط به. لا من الملائكة المقربين، ولا من الأنبياء المرسلين، فهو الله لفهر فوق عباده

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: (٢٥٣/٣)، والحاكم في المستدرک: (١/٦٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٦٩/١٠)، وأبو يعلى في مسنده: (٩/١٩٨).

وهو حكيم حبير، ﷺ لا يحيط به عرش، ولا يصل إليه في كنهه بشر، لا سيدنا محمد، ولا من هو دون ذلك، فالرب رب، والعبد عبد، وهناك فرق، بين المخلوق والخالق.

ولا يزال المختلي في خوته يذكر الله إلى أن يفتح الله عليه، وكان من المعتاد أن يفتح في اليوم العشرين، في اليوم الواحد والعشرين، في الثالث والعشرين فيتم العدة تبركاً وحمداً لله تعالى أن فتح عليه.

والفتح يجعل الإنسان على يقين لا يتردد أبداً، لا في عبادته، ولا في حقيقة النبي ﷺ ولا نورانيته، ولا في الطريق الذي يسلك، ولا في الأدب الذي يتبع؛ وتتحول المسائل إلى مشاهدات أكثر منها معلومات، تتحول المسائل إلى رضا، واستقرار، وتسليم لا ينازع الإنسان نفسه ولا يطالب.

فالخلوة أولها: الذكر، وثانيها: هو الفكر. فقيم يفكر؟ التفكير في ذات الله إشراك، ودعوى الجهل بشأه ﷻ إدراك، هذا كلام مكتوب في الكتب لكنه الآن يراه، يسمعه. يشاهده، يحياه، وهو حينئذ يسمع بعينه أكثر مما يسمع بأذنه، وحينئذ يرى بأذنه أكثر مما يرى بعينه لأن وسائل الإدراك لا تتعلق حينئذ بالحس إنما تتعلق بشيء هو ما وراء الحس، ومن هنا فإنه يتفكر في مراتب الوجود.

ومراتب الوجود -كما قالوا- أربعون مرتبة، كتب فيها الشيخ الجيلي بالتفصيل. ويُن كل مرتبة ومعناها، وما الذي يكون فيها، أعلى هذه المراتب هي مرتبة: غيب الغيب، وهو الله، أي الغيب المقدس الذي غاب عن كل أحد إلا نفسه، ولا يدركه ﷻ إلا هو. فلا إله إلا هو، فيشعر الإنسان حينئذ بضالته،



وفنته، وبفنته، وبحبابه إلى الله في وحدته وفي استمراره، فسبح نحيق كل ساعة، بل كل لحظة، بل كل جزء من اللحظة بخفق الله لنا، ولو أنه قطع عن الإمداد لنيننا، حينئذ ينحرف الفكر السحلي العابد بكسة (لا حور ولا قوه إلا بالله)، بعرف حقيقتها، ويدرك معناه، ويدرك أنه هو أصلا من الهاء المشهور، الذي لا وجود له بالحقيقة إلا بإيجاد الله له، وأن علاقته مع الله بنوم على كس فيكون، فله أن الله يصر منه أمر فب بين لكاف و نون ولا تريب عنه ينس العالم، هو يعلم هذا ويراها وينشأه وسدوف، والسدوق اذا دخل القلب لا يخرج منه أبدا، فمن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، وهذه من القواعد كذلك.

يحدث ذلك كله بالذكر والتكر، وهذه قصة كبيرة، بحر لا نهاية له، وإنما نحن نلقي الضوء على مجمل ما يحدث في الخلوة.

فيلس البيض، ويتغير، ويقطع علاقه بالدينا، ثم منهم من كان بصوم، وفي الصيام مساعدة كسره للروح في الترقى، ولا ياكلون ما خرج من روح، ولا ما كن فيه روح، وكان الروح تعطل بعض تريبها، وإن كان سيعود إليها بعد ذلك، ولكن في هذه الأربعين يحاول الإنسان أن يهني نفسه من كل جهة، فيستنعون عم فيه روح وعم خرج من روح، إلا باب الأرض، ولذلك كان الأولياء يقدم، أكلهم هو المشمش، أو التريب، أو الكاجو، أو اللوز، والجوز، يضعونه في عبة، ويأخذون شمة في اليوم، وسبحان الله هذا النوع من الطعام عالي السعرات جدا، المنة حرام من كل واحد تساوي سبعة، يعني هو بأحد عرفين في اليوم فيكفه، وهذا يساعد على أمور أخرى كثيرة، ويكتفون بالنساء والنساء وبهذه البسات، بل بعضهم زاد على ذلك ألا ياكل من مسنه



النار، وعلى ذلك فلا يأكل الخبز، لأن الخبز مسته النار، ولا يأكل الطبخ ولو كان نباتاً، لأنه مسته النار، فلا يتبقى في النهاية إلا هذه الياميشيات، يأخذ منها ويأكل، وهذا أكله الذي يعيش عليه أربعين يوماً، فتذهب كثير من أدواء الجسد، ولا يحتاج إلى أن يذهب إلى الخلاء ودورة المياه إلا مرة في الأسبوع، وبعضهم مرة في الشهر، وبعضهم مرة في الأربعين يوماً، فيحافظ على وضوئه أيضاً الذي هو حريص أن يحافظ عليه، فكان هذا حالهم.

ويدخلون في الذِّكْر، والذِّكْر بحر، ويدخلون في الفكر، والفكر بحر، ومراتب الوجود هذه لو تكلمنا فيها لا ننتهي، ووصلوا منها في الكتب إلى أربعين مرتبة، إلا أنها تتكاثر؛ لأن هذه الأربعين عنوان كل عنوان منها تحته عناوين كثيرة، فيمكن أن نصل إلى أربعمئة مرتبة، إلى أربعة آلاف، إلى أكثر من ذلك.

وكان يفتح على من يدخل الخلوة، حتى قال الإمام الشعرواني: (دخلت الخلوة ففتح عليّ مائة وأربعة وعشرون ألف عِلم في يوم). وهذا الفتح قلنا قبل ذلك إنه لا يعتبر إلا إذا عَلَّمْنَا مزيدَ أدبٍ مع الله ﷻ.

في الخلوة حدث لهم انكشاف الكائنات وتسبيحها، وفي الخلوة حدث ما أسموه بـ: سجود القلب، السجود الظاهري معروف، أن الإنسان ينحط من علو إلى الأرض، ويجعل جبهته على الأرض، ولكن كيف يسجد القلب؟

قالوا: هي حالة إذا سجد القلب لا يقوم منها أبداً، يظل ساجداً هكذا إلى أن يلقي الله، وهذا ما يسميه أهل الله بالمقام العالي، المقام العالي هو سجود القلب لله، ففي الخلوة، وبسبب هذا اليقين الذي يحدث فيها هو سجود القلب

لنلجس الى الله في الخوة و نها فة معينة يخلو فيها الإنسان الى نفسه ؛ لتصفيتها وتجديد معاني الإيمان فيها



له يسجد القلب لله ليس به عذرة بالغة بعز به عنه، يعني لا يدرك
حنينه إلا من حبه. أم الذي لا يجربه لا يمكن أن يحصل معده. ساذ؟ لأنه
ليس هناك في اللغة م يصف هذه الحالة، سجود القلب لله يحدث من
الخلوة هذه.





(باب)

في أنه إذا كان آخر الزمان ييسر على الناس ثلاثة أشياء:

الحج، والعلم، والولاية

يقول محيي الدين بن العربي: (في آخر الزمان - ونظن حالنا أننا في آخر الزمان؛ لأن الأوصاف كلها تتحقق فيما أخبر به سيد الخلق ﷺ ييسر على الناس ثلاثة أشياء: الحج، والعلم، والولاية).

أما الحج فالحمد لله، قد اتضحت الآن السهولة، ولو قارنًا ما نحن فيه الآن بما كان يحدث في السابق لعرفنا مدى منة الله علينا، من سهولة الانتقال، ومن أمن الطريق.

كان المحمل يخرج من مصر، يخرج ومعه فرقة من الجيش المصري حتى تدافع عنه أثناء الطريق؛ لأنه كانوا يأخذون الخيرات، والزكوات، والصدقات، والميرة - الأكل والشرب - لأهل المدينة ومكة، والزواد كانوا يأخذونه معهم، فكان قطاع الطرق يترقبون الطريق البري ويأخذون هذا، فلا بد من حماية، فكان يتحرك الجيش، يعني كأنه على أبواب حرب، والذي يذهب إلى الحج كأنه ذاهب في جهاد، لطول المسافة، ووخذ القلاص - والقلاص هي الإبل، والوخذ هو إسراعها في السير فتهتز - وكان الشعراء يتغنون لها؛ لأنها منهكة، ومتعبة، فحتى يصل الإنسان إلى مكة يكون قد أجهد وتحطم، ونحن في الطريق البري نأتي من عند الجُحفة ونُحرم، ما بين الجُحفة ومكة عشرة أيام، فكانت عشرة أيام من العذاب، والسفر في ذاته قطعة من العذاب.



قلت عنترة بن شداد (ولو كنت لفتت العذب قطعة من السفر) لست كان عليه هذا الحرج، وبحر الآن نكح عن النضال دائم، وتركب الطائرة، ويذهب فجدا أسيرة مكبثة الهواء، وتذهب فحدا لشدة مكيف الهواء، ونجد الحرج نفسه مكيف الهواء، حتى نرخدم منتص الحرارة وهكذا، وصار سفر الحج كونه رحلة سياحية، في حين جعل النبي ﷺ هي جهاد النساء، يعني نسراة التي تذهب الحج فكأنما جاهدت في القتال.

حتى النضال أيضا تطور، فالنضال كان بالسكاكين، وبالسيف، وبالرمح. كان الجسم يحرق، وكان حرج له قصته، كان هذا يسر، وأصبحت المسائل فيسره، ولكن كم من الحج يعد من الحج المبرور؟ هذا هو الكلام، كم من الحج يقبل؟.

القضية الثانية: العلم، أصبحت هذا كهرباء اخترعت في القرن الماضي، وه حد القلم الحبر ثم أصبح موضحة قديمة، ووحد (الفلومسر)، ثم أصبح موضحة قديمة، فجاء الحاسب الآلي وأصبح الناس لا يحسنون الكتابة

تطور رهييب في قضية الكتب ونسره، سنة ألف وأربعمائة وتسعين من الميلاد ظهرت المطبعة، أي منذ حوالي خمسمائة سنة، فأصبح كل ما هو موجود في العالم موجودا على (السي دي)، مائة وعشرون مليون معلومة ننشها وكالات الأنباء كل يوم. كتب مصففة ومفهرسة، وسكن أن يسرح الإنسان منها ما شاء في أي وقت شاء بسهولة.

تغير العلم كنت في الماضي حتى أحصل على معلومة في الكتاب. لا بد

١١) مصر حاشية العدوي على شرح كده ص ١١٠، وقد نسبه سي حسي في ميسوط بعد له من عباس بن عبد الله، ونسبه غيره لابن عمر بن عبد الله.

أن أنقب الكتاب صفحة صفحة، وأنقبه بدقة حتى لا أخطئ في حرف هنا أو هناك، هذا هو تيسير العلم، ولكن أين العلماء؟! وأين هذا الذي يعيش مع الكتاب الأيام والشهور حتى كان بعضهم يحفظه.

الشيخ أحمد بن الصديق الغماري - رحمه الله - ذهب إلى أدارسة الصعيد، فجلس بين الظهر والعصر يقرأ مخطوطاً عندهم، فقال له المضيف صاحب الدار: خذ يا شيخ أحمد، لما وجدته مهتماً به، ومنقطعاً عنهم، قال له: هذا من تركة أبي، وأنت أحق به مني، فقال الشيخ الغماري: حفظته، سمع لي، قال: العفو يا سيدنا الشيخ. قال له: سمع لي، فسمع له، فوجده قد حفظه عن ظهر قلب، من الظهر إلى العصر!

فالحفظ ملكة، إذا دربت تقرأ، وإذا تركت تفر، الحفظ ملكة؛ لأنه اعتاد أن يحفظ، ويحفظ، ويحفظ، فهو قد تعود على الحفظ، وبعضهم كانت عنده قوة الحفظ هذه ملكة، كالإمام الشافعي رحمته الله، كان يستر الصفحة التي على اليسار حتى لا يراها، وحتى لا يختلط عليه ما على اليسار، فيما يقرأه على اليمين، وكان الشيخ محمد أنور الكشميري رحمته الله يقرأ في مطالعته فيحفظ كل ما يقرأه ويظل في ذهنه لمدة يومين!! سبحان الله!! أشياء عجيبة.

الثالثة: الولاية، وسيدي محيي الدين عنده حكم غريب جداً يقول فيه: (التصديق بنا ولاية) يعني إذا صدقت بهذا الذي يقال، وبكل هذا الذي لم تجربهُ أو لم تدخل فيه بعد أو كذا... إلى آخره، التصديق في ذاته ولاية.

فالذكر والفكر يفتح بهما على الإنسان فتوح العارفين به رحمته الله، وتتوارد المعارف على القلب العارف، والشيخ المرشد الذي يعينك على السير إلى الله

نصف هذا، فبني أنه إذا ردت عندك المعارف أمكن أن تصاب بجنون،
وأنسأ طريق الله ليس فيه حزن، لكن يحدث هذا إذا كان لسلوك إلى الله غير
منصف. وإن لم يكن هناك منيح مرسد يهدي ملك، وإذا حدثك قد قصت عن
المتشهود بعد ذلك إلى أن تصبط نفسك، ولكن من سلك من غير منيح كان
عند حضوره كبيره، إلا إذا كان كذا قلب هذان، ربي. عند فقد الشريبي، وهو
النبي. فبني لا يقبل عن تلك صباه عبيه في اليوم. ومن نعمة الله أن أحذر
المنح حكمة إجابة عبيه في كتاب الهداية بالأدكار المعروفة في الطريقة
السادة هذه، وهذا من فصل لله لأنه لا بد من أن يجيز منيح، فهو بما أنه
الله. ووضح عبيه فبني أن يحذر في هذا العصر رافة بحال، والأدكار قد
تركت. ونحن لأن في وحل، كبيره في هذه الحية الدين، فالحمد لله
رب العالمين.

وسلك من الممكن السير على الطريق، والله. هو النصف عباده وهو
الحسن بهم، وكنت رأيت من الإحلاص وانزاجه وحسن القلب من علائق الدنيا
كلما ملأ القلب بأنواره.

الخبرة واحدة من المديت، كما أن وجود الشيخ من المديت، والحلوه
ربني من استسالت قلبه من ذكر وفكر، وهكذا بكلمه عن شيء من هذه
المديت التي كنت عندهم في الطريق كالقراءة، والعلم، وذكر سير الصالحين
وقصصهم، وغيرها، حتى يرسم الطريق، ويهدي معناه، وأركنه، وحواله،
وكنته السير فيه، وعرف المسكلات التي نتعرض بها عند سير فيه، وكيف
تعالج عبيه، وكيف ونحن في السير إلى الله لا نلتفت إلا لله، لا نلتفت
لكشف، ولا لنجح، ولا لأنوار، ولا لأسرار، ولا لأي شيء، بل ولا للعبادة



نفسها؛ إنما الله هو مقصود الكل، فكيف نحقق ذلك في حياتنا؟

نحن نتكلم في الطريق إلى الله، وقلنا ملخص ما سبق أن مقصد هذا الطريق هو الله، وأن مقصد الكل واحد وهو الله تعالى، وأن الإنسان وهو يسعى إلى الله في طريقه، ينبغي ألا يلتفت إلى شيء سواه، وأن السالك في الطريق ينبغي أن يكون له شيخ يرشده، وأثناء هذا الطريق يمكن أن تنكشف له أسرار الملك، أو أسرار الملكوت، ويمكن أن تنزل في قلبه أنوار الملك، أو أنوار الملكوت، وأنه ينبغي إذا تعلق قلبه بالله تعالى ألا يلتفت إلى شيء من ذلك، ولا يشتغل لا بكشف ولا بفتح، ولا يقصد من طريقه تحقيق غاية، لا دنيوية ولا أخروية، إنما يكون مقصوده الأوحيد هو الله تعالى، وهذا هو الإخلاص، فعرفنا من ذلك أن هناك ما يسمى بالملك، والملكوت، والأسرار، والأنوار، وما يشبه هذه المصطلحات.

ثم تكلمنا عن الخلوة، وعن مراحل الطريق، وعن تدرج المرشد والسالك في تلك المراحل، وأنه يسير فيها كالدائرة، يبدأ من كونه عاميًا، ثم يرتقي إلى كونه خاصًا من الخواص، ثم بعد ذلك يصل إلى مرتبة خواص الخواص، حيث يتسابه في مظهره بالبداية، ولكنه يكون في النهاية، وفي كلامنا عن الخلوة تكلمنا عن الذكر، وعن الفكر، وأن الإنسان في الخلوة يذكر ربه، ويتفكر في ملكوته، وفي كونه يفنى عن نفسه، ثم يفنى عن هذا الفناء، فيرجع مرة أخرى تحت قهر الله تعالى.





(باب)

فيه عودة إلى الكلام عن مراتب النفس، وأثر ذكر الله تعالى في ترقّي النفس وصفائها

والآن نتكلم عن نفس الإنسان، فنفس الإنسان التي بين جنبيه تمر بمراحل سبعة: **المرحلة الأولى:** نسمي فيها النفس بالنفس الأمارة بالسوء، والنفس في هذه المرحلة لا تكون في درجة واحدة، بل قد تكون في شَرِّ أحوالها، وهي حالة الكفر، حيث يكفر بالله ﷻ وينساه، وينكر وجوده، ويحجب عنه، وقد يؤمن، وتنازعه نفسه في المعصية، فيفعل المعصية، وينسى الأمر والنهي بالكلية، ويعيش حياته مع إيمانه بوجود الله وبأنه يرسل الرسل، وينزل الكتب، ويشترع الشرائع. وأنا سنعود إليه ﷻ في يوم آخر للحساب للعقاب والثواب، يؤمن بكل ذلك! فهو مسلم إلا أنه عاق، وهذا العصيان يحجبه عن الله ﷻ، وكلما أراد أن يخرج من عصيانه -وهذه درجة أخرى- فإنه يعود بسهولة إلى المعصية، من غير التفات إلى ثواب الله ولا إلى عقابه، ولا إلى سخطه ولا إلى رضاه، فهذه المرحلة نسميها بمرحلة النفس الأمارة بالسوء.

وكلمة أمارة على وزن فعّالة، وهذا الوزن في اللغة العربية يقتضي التكرار، أي أنها تأمر بالسوء، ثم تعود فتأمر بالسوء، ثم تعود فتأمر بالسوء، ثم تعود فتأمر بالسوء وهكذا. فالنفس الأمارة وليست الآمرة، فالآمرة تأمر بالسوء مرة وتنتهي. ولذلك قالوا: إن تسلط النفس على الإنسان ليس كتسلط الشيطان، والفرق بين وسوسة الشيطان ووسوسة النفس: أن النفس تعاود الأمر بالمنكر





مراتب. ولكن الشيطان بعد مرة لا يعود بعد ذلك. أحدوا ذلك من صفة
المراتبة التي حوّده في قوله: **وَالنَّفْسُ لَأَمْرَةٌ نَّاسِيَةٌ** لم يقل **لَأَمْرَةٌ نَّاسِيَةٌ**
إنما قال **(نَّاسِيَةٌ)** أي أنها ترجع مرة بعد مرة بعد مرة ناسية نسيوة.
وذلك من الأسرار له وحده خاضع في قلبه مدعوه إلى الشرب، ففعله، وأزاله،
وخلصه إلا يستمع إليه، وحده مرة أخرى ينجح عليه ففعله، فالح عليه مرة
ثالثة، يعلم أن هذا من نفسه، ويؤثره في قلبه في حظه سيء مدعوه إلى شرب
فاستعاذ بالله منه فوجده انصرف، فليعلم أن هذا إلقاء من الشيطان.

وبذلك فإن الشيطان مرة سهل، لأنه يروى بسجود الاستعاذه بالله تعالى،
فحين يعود الله تعالى ففعله بعد، يخفى فيه (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)
فإذا انصرف، ولا يعود مرة ثانية، لأنه لا سلطان له على الإنسان، ولأنه إن
سلط على الإنسان من قبل النفس والشرب من قبل التحكم في بني آدم

التي للحقيرة عندني، وأعدني أعدائي هي نفسي التي من حسي. ولذلك
عندهم قال إن الحجاب الأعظم هو النفس، والحجاب هو الذي يحول بيننا
وبين الوصول إلى الله، وبين حجة قلوب من الصبح، وبين وبين تحليله
فمن الصبح، وبين وبين الأبرار، وبين وبين كشف الأسرار، وبين
وبين مع الله مع الله. كل ذلك من النفس والتي يحول بين الإنسان
وبين أن يعلم هذا، والنفس الأمارة بالسوء تنعني علينا أن نربطها وأن نمر على
ذلك المرحلة بسلام، وبذلك ذلك هو سلوك طريق الله تعالى، وأن نرى أنفسنا
من هذه المرحلة، وندخل إلى المرحلة التي بعدها.





وقد رسم العلماء من أهل الله تعالى لذلك طريق النفي والإثبات: (لا إله إلا الله) فلا إله إلا الله فيها نفي وفيها إثبات، فيها دلالة على العدم وفيها دلالة على الوجود، وهذا هو حقيقة الخلق، فقد كان الخلق عدماً، يقول رسول الله ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»^(١) ولم يكن شيء معه، يعني الخلق لم يكن موجوداً مع الله ﷻ، ولذلك قاسوا: إن الله له صفات، هذه الصفات منها ما يسمى بصفات الأفعال. ومنها ما يسمى بصفات الذات؛ صفات الذات قديمة بقدم ذاته ﷻ: كالقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والحياة، والكلام. وهو حي أزلاً من غير بداية وعالم وقدير. وكل هذه الصفات هي قائمة به ﷻ منذ الأزل.

وهناك صفات الأفعال، فما الفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال؟ قالوا: صفات الأفعال لا يلزم من نفيها نقص، يعني لو قلنا: إن الله لم يخلق لي حفيداً. فهل يلزم من هذا نقص للإله ﷻ؟ أبداً، لم يرزق فلاناً رزقاً واسعاً؟ لا شيء. إذا الرزق والخلق من صفات الأفعال؛ لأنه لا يلزم من نفيها نقص، وصفات الذات يلزم من نفيها نقص. عندما أقول: إن الله ليس بعالم. لا يجوز.. إن الله ليس بقادر! لا يصح. إذا فصفات الأفعال هذه لم تكن مع الله أزلاً؛ فالله كان ولم يكن خلق، وكان ولم يكن رزق، وكان ولم يكن إحياء، وكان ولم يكن إماتة، نعم؛ لأن هذه الأشياء نفيها لا يلزم منه نقص، لكنه كان عالماً قادراً مريداً حكيمًا سميعاً بصيراً، وهكذا، منذ الأزل، وإلى الأبد، لا يحيط به زمان، ولا يحده مكان.

(١) رواه البخاري في صحيحه: (١١٦٦/٣)، وابن حبان في صحيحه. (١١/١٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢/٩).





أما أسماء الأفعال فلا. أسماء الأفعال نوحدا عندما يراد: "فيخلق الخلق بعد أن لم يكن. ويررق الناس بعد أن لم يرق. وبسيتهم بعد أن أحباهم. وبفعل ما يشاء" لا تُشَرُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُشْتَبَوْنَ إذا فلا بد أن نعرف ربنا بـ: بالعى، والقدرة، والإرادة، والفاء حتى نعرف أنفسنا، لأننا على أصداد ذلك، فأولاً (من عرف نفسه فقد عرف ربه) أي من عرف نفسه بالعجز والفاء عرف أن الله بخلاف ذلك، وأنه: "باق، عال، قدير، مريد، حكيم. لا نهاية لدنك كنه في شأنه. ونكت لما انتهية، فلنفس أمرة بالسوء، تعبد هذا الأمر، فينبغي علينا أن نعالجها بالنفي والإثبات.

ولا إله إلا الله وهي أول الذكر: لأن الأمر هنا أمر عبادة، والمقصود فيه هو الله. والمقصود فيه هو تحقيق نسيحة، أي أن نحقق نتيجة في سعيك إلى الله، وما النسيحة؟ هي علم الأدب مع الله، والقضاء على رغوبات النفس، وندرجها في مراتب العبودية، هذه هي النسيحة التي إذا ما حصلت لها نكون قد نحنا، أفحنا، وإذا لم نحصلها نكون ما زلنا في أول الطريق. فكان أهل الله في البداية يقولون: نذكرها ثلاثين ألف مرة، فما وجدوا البس قد تعلقت قلوبهم بالدنيا، ورأوا أحوالهم حلت على أسوأ ما يكون الاحلال، وكل عصر يأتي تزداد ظلمته عن العصر الأول حتى تقرب العصر علينا. فقديمًا كان الناس يترقون بين أوائل حياتهم وأهأ أحرها، فلحظون فرق بعد خمسين أو ستين سنة، يقول أحدهم هذا لعصر الذي أعيش فيه أسوأ من لعصر الذي كنت فيه شابًا، أما الآن فإنه في كل سنة نحذف الأمور على قلب المؤمن. ويرى أنه نلظلم كل سنة، وليس

(١) سورة الأنبياء، آية: [٢٣].

(٢) من كلامه وأمام يحيى بن معاذ - رضى، ومحافظ سيوطى كتاب مستنير سنة ١٢٠٠ هـ.

الأشبه، في قولهم: من عرف نفسه فقد عرف ربه) وهو مطبوع.



في كل خمسين ولا ستين ولا مائة كما كان من قبل، يرى أن العصر يظلم كل سنة! والنبى ﷺ يقول: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١)، ويقول: «مَا مِنْ زَمَنْ يَأْتِي إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ أَشْرُ مِنْهُ»^(٢).

نعم قد يكون أحسن منه في الطرقات، والصحة، والتعليم، والصناعة، والاقتصاد وهكذا، ولكنه أسوأ منه من الناحية الروحية، ومن ناحية اتصال العبد بربه، ومن ناحية خلو قلب العبد من الدنيا، ومن ناحية تمكن العبد من عبادة الله ﷻ على ما يرضي الله ويبعد عن سخطه، كل هذا يسوء الإنسان فيه، حتى إننا يحال بيننا وبين قلوبنا، ويحال بيننا وبين عبادتنا، وذلك من هذا الجو الذي يسوء يوماً بعد يوم من شدة الشرور إلى أن يخرج الدجال.

والدجال هذا مثال لكل تلك الشرور مجتمعة لأنه يدّعي أنه الله، والله -جل شأنه- يجري على يديه الخوارق؛ يجعله ينظر إلى السماء فيزداد فيها الغيم، فيشير إلى الغيم فينزل المطر، ويرفع يده فتنبت الشجر وهكذا، فالناس تصدق أنه الله، إلا المؤمن؛ فإن المؤمن يرى بين حاجبيه كلمة: (كفر) (ك-ف-ر) يقرأها كل مؤمن، قارئ أو غير قارئ، أي أنه حتى الأميّ من المؤمنين يقرأ تلك الكلمة، إن هذا أمر متعلق بالإيمان، فمن كان في قلبه إيمان نظر إلى وجهه فوجد كلمة (كفر) مكتوبة بين عينيه، فالإيمان إذاً يحميه من هذا الدجل.

(١) رواه البخاري في الصحيح: (٩٣٨/٢)، ومسلم في صحيحه: (١٩٦٤/٤)، والحاكم في المستدرک: (٢١١/٣)، وابن حبان في صحيحه: (١٢١/١٥)، والبيهقي في السنن: (١٢٢/١٠)، والترمذي في السنن: (٥٠٠/٤).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: (٢٥٩١/٦)، وابن حبان في صحيحه: (٢٨٢/١٣)، والترمذي في سننه: (٤٩٢/٤).



والله حل سائرته كمن، وهذا بفسر، فانسح الدحل أعور، وهذا كمن
 انظر وتطلع الشجر فصاح عيك، فسيدي رسول الله قد قال إني
 لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم
 يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور، يعني أن الله كمن وهذا
 بفسر، وهلا كان ينفع نفسه أن كان يدعى قدره، من هذا الصلبي الذي يبيع
 دونه لإدهاب اصبع بخرج الشجر وهو أصعب، لم لم ينفع نفسه، كان يصنع
 هذا الدواء لو كان نافعا، كيف حدث هذا؟!

الاعور كمن هذا أمر أنهم تصحكون لكنه يحل على كثير من البشر هذا
 الدحل أن الله معه شريك، أو أن الله قد أرسل إلى الأرض وصلب، أو أنه كذا
 وكذا.. هذا كلام تخاريف ولكنه يخيل على البشر.

الحاصل أنك مع ذكر لا إله إلا الله، تذكر النفي الذي يدل على العدم،
 وتذكر النفي الذي يدل على التخيبة، بخليّة القلب، ونقيته من كل قبيح،
 وتذكر النفي الذي يدل على انتفاء النفس في مقابلة الله، لأن الله هو الباقي وأن
 فان، كل هذه المعاني تدركها عند قول: (لا إله)؛ لأنني أنفي وأعدم وأخلي
 قلبي ونفسي وكيالي مما سوى الله من العلم، ثم يأتي الإثبات الدال على
 الرخود، وعلى التخيبة، كقوله: (لا إله) في قلبي، ثم يأتي بعد ذلك
 استحصر الله في قلبي، أو (لا إله) في قلبي أي أني خلّيته من هذا،
 أو (لا إله) في نفسي لأنني خلّيت نفسي من هذا، و (لا إله) يدل على العدم

(١) رواه البخاري في صحيحه: (١١١٣/٣)، ومسلم في صحيحه: (١٥٥/١)، والضياء المقدسي
 في المختارة: (١٩١/٣)، والحاكم في المستدرک: (٧٦/١)، وابن حبان في صحيحه:
 (١٨٣/١٥)





الذي كان قبل الخلق فخلق الله. وتدل على العدم الذي يتلو الخلق بأمر الله، كل هذا النفي يذكرني بهذه المعاني، ثم بعد ذلك يأتي الإثبات، يأتي التحقق وتأتي التحلية، يأتي مرء القلب بهذه الأنوار الربانية، والمنح الصمدانية، التي تنير للمؤمن طريقه مع الله تعالى. فكانوا يجعلونها ثلاثين ألفاً، لكنهم لما وجدوا الناس قد انشغلوا جعلوها مائة ألف وزيادة، هذه المائة ترقق قلب الإنسان للذكر. ثم نحن نذكر على قدر الطاقة، نذكر كل يوم خمسمائة، أو ألفاً، أو ألفين، أو ثلاثة، أو عشرة. على قدر ما يستطيع الإنسان وحسب ظروفه، فلو ذكرت كل يوم خمسمائة فإنك تنتهي منها في مائتي يوم. وهو ما يعدل ثمانية شهور، ولو ذكرت خمسة آلاف مرة في اليوم ستنتهي في عشرين يوماً، إذا هذا حسب الطاقة. إنما أنا أحضر السبحة التي لها عداد -حتى لا يشغل قلبي بالعدد- ثم أبدأ في الذكر (لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله) متتالية حتى أتم المائة.

وهذه عبادة، فينبغي أن تكون بهدوء وبتدبر، وليس بجريان اللسان مع السهو، وعدم الالتفات والتركيز، لكن حتى لو وقع كذلك، ولو كان بمحض اللسان أيضاً فإننا نستمر في الذكر؛ لأن ذكر اللسان عليه ثواب حتى لو انشغل القلب، فما بالكم لو أن القلب لم يشغل؟! فأنت توفر بالحضور مراحل كثيرة من حياتك.



(باب)

من قواعد الطريق إلى الله: أن خلوتنا في جلوتنا ، ومعنى ذلك .

ومن الأسس أن: (خلوتنا في جلوتنا)، أي أن التسبيح في الخلوة التي ينفرد فيها الإنسان مع نفسه، والتي تكون بالليل أفضل من خلوة بالنهار، والتي تكون على وضوء أفضل ممن لا يكون كذلك، والتي فيها لبس البياض أفضل من لبس غيره. وكل هذه الأشياء هي مساعدات وليست هي الأصل، ولكن حسب طاقة الإنسان وحسب مقدرته وحالته، والمهم ألا نترك الذكر، وأن نلهج به، وأن نستمر، كما جاءه من يقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِأَمْرِ أَتَشَبُّثُ بِهِ؟ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ»^(١).

ثم إن اللسان إذا اشتغل بذكر الله تعالى جف، واحتاج الإنسان من كثرة الكلام لشرب الماء، ولكن يسمى رسول الله ﷺ ذلك الجفاف: رطوبة. هو لا يقصد أن الإنسان عندما يذكر الله كثيراً يحدث رطوبة، أبداً، بل يحدث جفاف، ولكن هذا الجفاف ما أَلْذِه!! هذا الجفاف هو عين البري، وهو عين الرطوبة، هذا الجفاف هو الحلاوة والجمال، فالنبي ﷺ يقول: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ» أي: اذكر الله إلى أن يجف لسانك، فإذا جف فهذا عين الرطوبة، كما يقول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: (٩٦/٣)، والصباء المقدسي في المختارة: (٦٠/٩)، والحاكم في المستدرک: (٦٧٢/١)، وابن ماجه في سننه: (١٢٤٦/٢)، والترمذي في سننه: (٤٥٨/٥).

عند الله من ريح المسك . لأن في الصائم من كثرة مساعده عن الخلق يحدث فيه رائحة كريهة. ولكن هو يقوى إن هذه الرائحة لا تكون كريهة عند الله، بل هي أحلى عند الملائكة وأعنى من ريح المسك، فهذا كنه من الأضداد، كأنها: (وبضدها تتميز الأشياء)، قال الشاعر:

ضدان لما استجسعا حسنا * والضد يظهر حسنة الضد

فهذا الذكر ينبغي أن يستمر عليه مدة ألف مرة، وهذا محض بالسوء. الأمانة بالسوء.

وقد قلنا قبل ذلك: إن هناك سبعين ألف حجاب - عن أنوار الله - للنفس الأمارة. ولست نذكرك الحجاب كلها من نوار النفس الأمارة، بل لنفوس الأمارة منها عشرة، ونفوس التي بعدها عشرة وهكذا، فليست سوى ألف حجاب للنفوس السبعة.

فهذه بعد النفس الأمارة بالسوء ترقى مع هذا الذكر إلى النفس الباردة. ونفوس المارة فيها من . فهي يوم الإسلام عن أن يفعل شيء، ولكنه بعد فيه بفعلة، فتألمه مرة . فتعلمه، ثم يترك، ثم يفعل، وهكذا، النفس الأمارة تزداد حجاب إلى حجاب أكثر وأبعد بالله، وأعداها يكون على يد طريق الله من المؤمنين . ثم إن النفس الأمارة تنهي، ويدخل السالك بعدها في نفس هي . ويكرر عليه اليوم، فهو ليس حالصا ولا مطمئنا في طاعته، وكلما أراد أن يترك عن معصيته، وأن يخرج عنها، إذا به يعود إليها.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٧٠/٢)، ومسلم في صحيحه: (٨٠٧/٢)، وابن حبان في صحيحه: (٢١٠/٨)، وابن خزيمة في صحيحه: (١٩٦/٣).



فهذه النفس اللوامة، ووضعوا لها ذكراً وهو: (الله). لفظ الجلالة المفرد، ولفظ الجلالة المفرد أهل الله كلهم يعتبرونه، ويعملون به، ولكن بعض الناس يشكون في الذكر به! فاستدلوا من ناحية الشرع بأمور منها قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١)، فكلمة: (الله) جاءت مفردة، وقد أمر ﷺ من قبل أن يقولها وأن لا يتعدها، يعني إذا مرّ بالمشرّكين قال لهم: الله، وتركهم ومضى. فالنصر هكذا: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ فقالوا: إن هذا مبتدأ وله خبر، والخبر محذوف، كلام لا معنى له! واستدلوا عليه أيضاً بحديث رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ»^(٢)، وهذا الزمن لنكد جاء فيه: «لَا تَقُومُ الْقِيَامَةُ إِلَّا عَلَى لُكْعِ بْنِ لُكْعٍ»^(٣)، فهذا الزمن النكد لا يُقال فيه في الأرض: (الله، الله).

إذن كأنها كانت تقال عند المسلمين قبل فنائهم، أو قبل قلتهم، أو قبل ذهابهم، على ما بشر به رسول الله ﷺ من أن ريحاً طيبة تأخذ أرواح المؤمنين أو تأخذ المؤمنين من تحت آباطهم، قبل يوم القيامة، أي أنه قبل يوم القيامة سيموت كل المؤمنين والحمد لله رب العالمين. حتى لا تقوم القيامة إلا على لكع بن لكع، يعني ليس في الجيل الأول، بل الجيل الثاني أو الثالث أو كذا

(١) سورة الأنعام، آية: [٩١].

(٢) رواه مسلم في صحيحه: (١٣١/١)، وابن حبان في صحيحه: (٢٦٤/١٥)، والترمذي في السنن: (٤٩٣/٤)، والحاكم في المستدرک: (٥٣٩/٤)، وأبو يعلى في مسنده: (٢٣٤/٦) عن أنس، ورواه الحاكم في المستدرک: (٥٣٩/٤) أيضاً عن ابن مسعود.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه: (١١٦، ١٥)، والمقدسي في المختارة: (٢٧٣ ٧)، والطبراني في الأوسط: (١٩٧ ١) عن أنس، ورواه الترمذي في السنن: (٤٩٣/٤) عن حذيفة، ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي ذر: (٢٥٧/٣).



إلى آخره. حيث لا يقال في الأرض : (الله، الله). فلفظ الجلالة هذا يذكر أيضا مئة ألف مرة. وكان له عدد في القديم. إلا أنهم أيضا عدلوا عن الأعداد القديمة إلى أعداد جديدة لم ذكرها، فالمائة ألف هذه يعدّها العدّ

ونصح أهل الله بالأبذكر هذا الاسم والإنسان عنده ارتفاع في درجة الحرارة، أي أنه يوقفه إذا ما كنت عنده حمى؛ لأن الذكر بهذا الاسم يرفع درجة الحرارة، ولذلك الذكر بـ (الله) لا يناسب المحموم، وقد سميت إذا كان صادق في ذكره، ولذلك أيضا من لم يدخل الطريق يستعمل خصائص الأسماء لحسنى في نتائج كريمة، منها هذا : فلو كان يشعر بالبرد فيذكر بـ (الله) فيدفأ، ولكن هذا ضد الإخلاص؛ لأننا في الحقيقة لا نذكر من أجل تحصيل نتيجة. إنما نذكر لأننا نحب الله، من قلوب، وهو حقيق بهذا الحب، وحقيق بذلك الذكر، فالذي يذكر شيئا ويريد بهذه الخصائص أن يصل إلى شيء ما سيصل. ولكن ثوابه قد عجل له في الدنيا، ونسأل الله السلامة.

أي أن الأصل أنه لا ثواب له عند الله في الآخرة، فإن أعطاه الله فتفضلا من عنده عنه، ولا يتألى على الله أحد. أي أننا لا نستطيع أن نقول أن لا ثواب له، ولكن هو ليس له عند الله شيء؛ آتبه الله أو منعه فالله حقيق بكل فضل **وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ** أي يعلم من هذا، وما نيتي، ولم فعل ولم ترك؟ وحكيم في توزيع الثواب على ما تم وعلى ما كان، فهذا اللفظ لفظ جليل يذكره الإنسان أيضا في مدة ما يستطيع.

ثم ينتقل بعدها بعد هذا الذكر إلى الضمير الدال على وجوده عنه، ولفظ

الجلالة كما قلنا غير مرة لفظ عجيب، حتى قال كثير من أهل الله: إنه الاسم الأعظم. وإنما تتخلف الإجابة بالدعوة به لأنه تتخلف شروط الدعاء؛ كأن يكون فيه عدوان، أو ليس فيه خلوص نية، أو أنه يجهل طريقة تلاوته، فلفظ الجلالة عَلَّمَ على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد سبحانه، وهو اسم عجيب، لا مثيل له في كل لغات الأرض، فلو حذفت منه الألف لبقى دالاً عليه سبحانه: لأنه يصير: (الله)، ولو حذفنا اللام أصبحت: (له)، ولو حذفت اللام الثانية لبقى: (هو).

تبين لنا إذن أن قلب المؤمن مهبط للأنوار، ومنبع للأسرار، وأن الأنوار والأسرار منها ما هو منسوب إلى الملك، ومنها ما هو منسوب إلى الملكوت، وأن الإنسان في طريقه إلى الله ينبغي ألا يلتفت لا للأنوار، ولا للأسرار، ولا للملك، ولا للملكوت، وأن الله هو غايتنا، وهو مقصود الكل، وأن الإنسان يجب أن يحرر قلبه من كل هذه الغايات والمرادات، ولو كانت فيها لذة، وأن المقصود هو أن يُحصّل الإنسان الأدب مع الله.

وتكلمنا بعد ذلك عن أن أهل الله ﷺ يلجأون إلى الخلوة، وقلنا فيما قلناه: إن الخلوة تعين على الذِّكْر والفكر، ثم تكلمنا بعد ذلك عن الذكر، وأن هناك ما يسمى بالأسماء السبعة الأصول، وتليها ستة فروع، ارتأى أهل الله أنها ترقى الإنسان في سيره إلى الله تعالى، وتجعله يتغلب على حجب النفس التي تحجبه عن أنوار الله ﷻ، أو تحجبه في بداية الطريق حتى عن الطريق نفسه، أو تحجبه عن النور، وعن انكشاف أسرار الكون له.

ثم تكلمنا عن: (لا إله إلا الله)، وأنها أول الطريق إلى الله، وأن الشيخ رحمه الله تعالى قد أجاز من يصلح للإجازة بأن يشتغل بهذا الذكر.



ويحذر لا تشبع مراتب نفس السعة التي اشربا إليها. ولا هذه الأسعة
السعة. ولا كثرتها. لاسيما المذكورة في كتاب الهداية. ويمكن البدء فيها مع
ربادة الإحسان والوحدانية والافتقار لله تعالى حتى يؤتى هذه الأدلة ثم في
هاب المؤمنين. فيخلصه إلى عبادته وحده سبحانه. فسق الكلام على النفس.
ومراحيلها. ودرجاتها. وقد أمرنا إياها بالإحسان. وسبق الكلام عن الذكر





(باب)

في التفكر ومعناه، وأثره في السير إلى الله تعالى

ونتكلم الآن على قضية الفكر، حيث قلنا: إن الخلوة فيها ذُكر وفيها فكر. أما الذُكر فقد أشرنا إليه، وإلى طرف منه، وكيف يكون، ثم نحن هنا نتكلم عن الفكر، والفكر أيضًا هو الله ﷻ، وهذا الفكر ينبغي أن يكون في ملكوت الله، وفي ملك الله، في السموات وفي الأرض، في النفس، وفي الحيوان، وفي النبات، وفي كل شيء يتأتى للإنسان أن يستشعره، وأن يدركه، وأن يفهمه، وأن يعده، وأن يطلع عليه، وأن يُحصّل معناه، أي أن يتفكر الإنسان في كل شيء.

ولا بد من أن يؤدي هذا الفكر إلى علم، وهذا العلم يؤدي إلى يقين، وهذا اليقين يؤدي إلى مشاهدة، وهذه المشاهدة تؤدي إلى حضور، وفي الحضور أنس بحضرة القدس، والأنس بالقدس أمر هو في نهاية الفكر، أي أن الفكر سيوصلنا إلى حضرة القدس ﷻ، فهذا هو هدف الفكر.

وليس هدف الفكر التكبر على الناس، ولا هدف الفكر الاعتزاز بالنفس، ولا هدف الفكر الضلال، ولا هدف الفكر الإيذاء، ولا هدف الفكر التعالي؛ بل إن هدف الفكر دائمًا هو الله.

فينبغي علينا أن نوجه فكرنا ليدفعنا إلى الله، وكل شيء حولناه إلى دلالة على الله في أنفسنا صار علمًا، وكل شيء لم يكن كذلك لا يكون علمًا، إنما يكون معرفة لا تنفع، والجهل بها لا يضر.



لبي . . . واحد رحلا بين حوله الناس، قدس ما هذا^(١) كنه تعجب من
الشد الناس و همسهم بذلك الرجل . لم يفس . من هذا بل قال : ما هذا^(٢)
يعني الذي به من وقوف رجل في وسط حلقة، هذا الرجل بكلمة، ويستمع
إليه الناس . ويكوكبون عنه، قالوا هذا علامة . قال (وما علامة؟) قالوا
يعرف أسبب العرب . وأنهم . وحروبهم . وقالهم . ومشاهدتهم . ولغتهم .
وأشعرهم . قال . العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل . آية محكمة، أو سنة
قائمة، أو فريضة عادلة . هذا هو العلم الموصى إلى الله . لا الذي يؤدي
إلى اتفخر بين الناس، ولا إلى الاعتزاز بالنفس . ولا إلى التكر والتعالي .
ولا إلى الإساءة . ولا إلى الفساد في الأرض . فكل علم وصل إلى الله ووجد
الإنسان نفسه يسبح ربه بعده ويقول : سبحان الله الخالق العظيم . ويرى أن كل
شيء في الكون وراءه قدرة الله ﷻ كما قال قائلهم:

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

وعليه فإن السالك في سببه إلى الله تعالى يطر . ويتأمل . ويتفكر . ويستنبط
من هذا الترتيب العجب . في العالم العلوي . والعالم السفلي . ما هو قن معه في
الله . . . يثبت لا يتزعزع . لا يكون بعده فيه ريب . ويتفكر في مخلوقات الله
تعالى . ويتفكر في نفسه . وقديم قلوبا (من عرف نفسه فقد عرف ربه)

الإنسان يتفكر في نفسه فيجد نفسه لها بداية . وهذه البداية كانت بداية
مجهولة . هو لا يتذكرها . إذ لا يذكر الإنسان متى ولد . وهذه البدايه ضعيفة .
لأنه كان ضعيفا قبل أن يستقل بقضاء حوائج نفسه . وكان محتجا إلى الغير

(١) رواه الحاكم في المستدرک: (٣٦٩/٤)، وأبو داود في سننه: (١١٩/٣)، وابن ماجه في سننه:
(٢١/١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٢٠٨/٦)، والدارقطني في سننه: (٦٧/٤).



احتياجًا تامًا، لا يستطيع حتى أن يأكل، ولا أن يشرب، ولا أن يتداوى، ولا أن يُذهب عن نفسه أي ضرر، فهو عبارة عن قطعة من اللحم في يد أمه، وهو محتاج إليها الاحتياج التام. والله ألقى في قلوب الأمهات الشفقة من أجل هذا الاحتياج التام. وفيه إشارة إلى أن الإنسان حينما يحتاج إلى ربه فالله رءوف.

فالإنسان يحتاج إلى غيره ابتداءً؛ والله يشير إليك بأنك في بداية طريقك في هذه الحياة الدني كنت تحتاج احتياجًا تامًا، وما زلت تحتاج في وجودك إلى الله.

إذا تأملنا الأمهات في بني الإنسان، أو في الحيوان، أو في الطير، أو حتى في النبات وجدناها تحنو على أبنائها، وتتعلق بها تعلقًا شديدًا يخرجها حتى من التصرفات العاقلة، وتلك الشفقة شفقة عظيمة يُضربُ بها المثل، فالله ﷻ أحسنّ علينا من حنان الأم على ولدها؛ لأننا ليس لنا في الكون إلا هو ﷻ، وليس لنا اعتماد في هذا العالم، لا في وجودنا، ولا في بقائنا. ولا في استمرارنا، إلا على الله. وهو عظيم، ورحيم، ورءوف، وهو ﷻ لا يخيب حالنا هذا، حتى الإنسان الكافر الذي يولي ظهره عن الله، كالابن العاق الذي يعقُ أباه ويعق أمه، فإن الأم لا تستطيع أن تتخلى عنه على الرغم من أنها قد تضربه، وقد تؤدبه، وقد تدعو عليه، ولكنها لا تستطيع أن تخرجه من قلبها، وكلما وجدت له عذرًا - أي عذر - فإنها تبادر إليه، وتقبل عذره، وتضمه إليها، وهذه إشارة إلى أن المحتاج إليه هذا شأنه عند الله، فما بالكم برب العالمين! فالإنسان إذا تفكر في نفسه، وعرف فيها الضعف والحدوث، تيقن من أن ربه قائم بنفسه لا يحتاج إلى غيره، قوي لا بداية له، ولا نهاية له، وأنه ﷻ سيقبل من يرجع إليه، وسينظر إليه بنظر الرحمة، وسينظر إليه بنظر الرأفة، وأنه مهما



بأنه لا يسأل، وحسن في صلاته لحيده، ثم يرجع إلى ربه يسجد لله سجدة،
وسجد لله سجدة رعوفاً، حمداً، غمراً، غموراً، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، وندى
الضائع، أو العاق، أو ولدها الذي يرجع إليها.

الملك يندى بالاسم أي أن يحياح في صدمه بنفسه التي عبره، وتندى
لا يستطيع أن يسجد بالكتابة عن الضعف، ولا يستطيع أن يسجد بالكتابة عن
السرور، ولا يستطيع أن يسجد بالكتابة عن النوم، ولا يستطيع أن يسجد بالكتابة
عن قضاء الحاجة، ولا يستطيع أن يسجد بالكتابة عن السمع، ولا يستطيع أن
يسجد بالكتابة عن أسبغ تسره، إذ هو الإنسان مستور في صمته، وهذا الإنسان
محتاج إلى غيره، وهذا الإنسان محتاج إلى أسبغ ونسبة به، والله تعالى
عكس ذلك، وتندى فهو صدم بنفسه، لا بداهة له، ولا نهاية له، لأنه كما يرى
من شكر أن الإنسان يعبره الموت، ويعبره الأضواء، وهو دحل في حد
الربوبية، وفي حد الشكر، فكأن الله لا رغب بحفظ به، ولا مكان يحده،
ولا شيء يستصر عنه، أو يفهمه، ولا شيء يعسده عليه، إنه سبحانه قد أراد
بما يقول له (كن) فكأن، استهوان والأرض يقول لها (كن) فكأن
من غير علة، وما تعب، وممن من لغوب، أي أنه ما أصاب الله شيء في
حد الاستهوان والأرض أنما من علة، ومن من حلال، أي تعب.
ولا أي لغوب.

الإنسان يتذكر في مودته، وفي حبابه، وفي مدته، وفي كل شيء، فبد به
يرى الله تعالى في مقابل ذلك كله، فبد فعل الإنسان ذلك في الفكر لا بعينه
الرب، ولا نهجه على فيه الشكوك، ونراه مضطرب بذكر الله، وذكر والفكر



يكونان الدعامة الأساسية لهذا الطريق مع الله، لا تهتز له عندما تصيبه مصيبة جامحة، ولا يضطرب، ولا يسقط في وهنة الجزع، الإنسان إذا ما تيقن بهذا الفكر تيقن أن الله متصف بالصفات العلى، والصفات العلى لخصها الله ﷻ في الأسماء الحسنى، والأسماء الحسنى كثيرة خَصَّ النبي ﷺ منها مائة وقال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، وقد ذكرها أبو هريرة في روايته عن رسول الله ﷺ، ولكن عندما قال الله في القرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٢) لم يحصرها ولم يعدها، ولذلك نجد في القرآن وصفًا لله ﷻ مائة وثمانية وخمسون اسمًا له، في حين أن الحديث لو أننا جمعنا ما ورد فيه برواياته المختلفة وجدنا أنه مائة وأربعة وستون اسمًا، ولو جمعنا هذا مع هذا وحذفنا المكرر يكون نحو مائتين وعشرين اسمًا لله تعالى، ورد في الكتاب والسنة منها: القادر، والقدير، والمقتدر، بعضها موجود، وبعضها غير موجود في الأسماء الحسنى التي معنا، وموجودة في القرآن وهكذا.

وانظر إلى جلال القرآن، وعلو قدره، مع كلام سيد الخلق ﷺ؛ سيد الخلق يرشدنا على التحديد، والله ﷻ واسع يطلق فيقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ لم يتكلم عن عد ولا حصر، والنبي ﷺ يفهمنا ويرشدنا إلى هذا الإطلاق الذي تميز به كلام الله عن كلام سيد الخلق نفسه ﷺ، وإن كان مبلغًا عن ربه يرشدنا بذلك فيقول: «...أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ

(١) سبق تخريجه: ص ٧٣.

(٢) سورة الأعراف، آية: [١٨٠].



عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي... الحديث»^(١) هذا شأن الله.

«إذا ما باملنا في أسماءه أحسنى وحداها على ثلاثة أصناف هناك صفات الجلال، وهناك صفات الجمال، وهناك صفات الكمال.

أما صفات الجمال ففيها: الرحمة، والرفقة، والعطف، والمعزة، وأمثال هذه الصفات التي تدعو الناس إذا ما تخلقوا بها إلى رقة القلوب.

وأما صفات الجلال ففيها القوة والشدة والعزة والقهر والحسوت والملكوت.

وأما صفات الكمال فهي صفات تميز أن الله سبحانه ليس كمثله، شئ سبحانه وأنه متفرد بالحمول والجلال معاً، وأنه يعلو الخلق ويخالفهم، وأنه سبحانه خالقهم وإليه المرجع والمصير.

المؤمن يتخلق بصفات الحمول، لأن الله سبحانه إنما تحلى علنا في مستح كتابه بها فقال سبحانه **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** سبحانه ولم يقل: بسم الله الرحمن السنتم، فحاء بجمال وجلال، بل تجلى غيب فقط بأثر حسن الرحيم أي بالجمال وحده.

هناك تحلق وهماك تعلق، فتخلق بكون للجمال، والتعلق بكون للجلال، فلا يحق الإنسان بالكرم، الله هو السكير العبي، ولا تتخلق الإنسان بالعبود، ولا يتخلق الإنسان بالانتقام، ولا يتخلق الإنسان بشئ هذه الصفات العالیه الشديدة.

(١) سبق تخريجه: ص ٧٤.

(٢) سورة الشورى، آية: [١١].

(٣) سورة الفاتحة، آية: [١].



إذا يتخلق ويتعلق، فإذا ما تخلق وتعلق فهذا متصل في القلب، والتخلي والتحلي قلنا قبل ذلك: أن المؤمن ينبغي عليه خاصة في بداية الطريق أن يقاوم نفسه، وأن يخلي قلبه من كل قبيح، وأن يحلي قلبه بكل صحيح، فالتخلية والتحلية تتأتى من أجل أن يعيش الإنسان في هذا النور الرباني، تساعده على ذكر الله وعلى التفكر السليم.

هناك مرحلة بعد التحلي والتخلي وهي التجلي، وهذه المرحلة هي التي تتعلق بهذا النوع الأخير من الأسماء وهو الكمال، فالكمال لا نتخلق به، ولا نتعلق به، إنما هو يتجلّى في القلب، فحتى نخلي قلوبنا من القبيح، ونحليها بالصحيح، فعلينا بالتخلق والتعلق، فإن تم ذلك حدث التجلي الإلهي، وأصبح الإنسان مجلّي لصفات الله ﷻ، وهذا كرم وفيض رباني يتجلّى به ربنا ﷻ على تلك القلوب النظيفة الطاهرة الشفافة، التي تخلت وتحلت، والتي تخلقت وتعلقت، فيتجلّى الله ﷻ بصفات كماله عليها.

من هذه الصفات: (الحكيم)، فنجد أن الإنسان حينئذ وصل إلى الحكمة، وربنا سبحانه وتعالى يجعلها قمة ما يصل إليه الإنسان فيقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١) هذه قمة أن يصل الإنسان إلى مرحلة الحكمة الربانية فيكون حكيماً، والحكيم إنما يهبه الله سبحانه وتعالى مع عقله ميزاناً يزن به الأمور، وهذا الميزان هو عين الحكمة، والله ﷻ يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾^(٢) أي أنه أنزل الميزان أيضاً وليس الكتاب فقط، فيكون معطوفاً على الكتاب في الإنزال؛ فالله أنزل الكتاب وأنزل الميزان؛

(١) سورة البقرة، آية. [٢٦٩].

(٢) سورة الشورى، آية: [١٧].





الكتاب يستهدي به سالك الطريق إلى الله. ولكن السيران إلى الله وهب لا كسبا
 بهمه للإنسان فيؤتاه الحكمة. ومن ثبوت الحكمة فقد أوثق حيزاً كبيراً.

مدخل المسلم الخيرة دائماً منك، فإذا به يدرك ويفكر، الذر له يوثق مع
 وطريق، والمكر له أمس وطريق، وكل هذه الأشياء يرمى بالإنسان، وساعده
 في الطريق، بأن يحل في من القبح ويحل به بالصحيح، حتى يصل إلى
 الحق والتعقيد، فيحدث بعد ذلك له التحلي، ويحدث له مقصود الإنسان مع
 الله فيصل إلى الأس في حصره لقدم. الكلام في هذا السعي قلبه يكفي
 وكثيره لا يقيد، لأنه إذا وجد طريقاً إلى حيث فقد وجد، وإلا، فإنه هو الهدى
 إلى سواء السبيل.

وملخص ما ذكره، بعده مرة بعد مرة، حتى يصح الحال، تكلما عن
 الطريق إلى الله، وإن هـ الطريق إلى الله فيه مقصود الكل، وأن الطريق إلى الله
 واحد، وأن الخلاف إنما هو خلاف مسارب من طريقه وأخرى، ولكن الكل
 كأنهم ينفون على محض دائرة واحدة عانهم جميع أن يصلوا إلى مركز
 حب الله... كلها مسدودة لموصول إلى الله، ولكن تختلف اتجاهه، وتختلف
 الموجه. وتختلف مكنونات الطريق، من الشيخ ومن الذكر ومن المجلوه ومن
 الجلوة ومن الفكر، ولكن المقصود واحد وهو الله تعالى.

وهذا أيضاً، إن الإنسان حين يسير في الطريق فإنه يسعى ألا ينفذ إلى
 ما سوى الله، فإن ملئنا لا يصل، وهذا إن الذي يشغل بال السالك إلى الله قد
 يكون مسبب عليه أمور يقننها أنه به وهي ليست كذلك؛ فكلمت عن أن
 الإنسان يعسر في السلك، وأنه أيضاً قد يدرك المسكون، وأن عالم السمت إنما
 هو العالم المحسوس، وأن عالم الملكوت إنما هو العالم الغائب عنه من



الملائكة والروحانيات والجن وغير ذلك، وأن الملك والملكوت مخلوقة لله ﷻ. وأن في الملك والملكوت أسرار وأنوار؛ فهناك أسرار في الملك وأسرار في الملكوت، وهناك أنوار في الملك وأنوار في الملكوت، وكل ذلك سوى الله لأنه من العالم. والعالم سوى الله، فالله رب العالمين، وينبغي على الإنسان إذا ما فتح عليه أو كسّف له سر من أسرار الملك أو الملكوت، أو تنزلت عليه أنوار الملك أو الملكوت ألا ينشغل بها عن الله ﷻ. وألا يقف عندها أبدًا، بل يسعى في طريقه على ما قد فتح الله عليه من فتح، ولا يلتفت فإن ملتفتًا لا يصل.

وقلنا إن المؤمن السالك ينبغي عليه أن يختبر نفسه في الأدب مع الله؛ فكلما يزيد في الأدب مع الله فهو خير وهو على خير، وكلما شغفه أو لم يزد في الأدب مع الله عنده فهو نافلة من نوافل القول، وزيادة لا يلتفت إليها؛ لأنها تكون شاغلة لسالك الطريق إلى الله.

قلنا: إن الإنسان في طريقه إلى الله إنما يكون في مراحل، وهذه المراحل يقطعها، فيقطع بذلك ويغير بذلك خواطر نفسه، والنفس على سبعة أنحاء: نفس أمارة بالسوء، ونفس لوامة تلوم صاحبها حتى يرجع، ويؤوب، ويعود، ويتوب إلى الله. ونفس ملهمة، وبعض أهل الطريق يقفون عند هذا، وبعضهم يزيد: النفس الراضية، والنفس المرضية، والنفس المطمئنة، والنفس الكاملة، فتتم السبعة، وقلنا: إن ما بين كل نفس وأخرى حجب، وإن أهل الطريق قالوا: إنها عشرة آلاف حجاب؛ فحتى يصل الإنسان إلى درجة الكمال في عبادته وأدبه مع الله ﷻ، وكأنه ينبغي أن يتجاوز، وأن يمر، وأن يزيل سبعين ألف حجاب.

وقلنا: إن الإنسان قد يصل بعد ثلاثين عامًا، وقد يصل بعد ثلاثة دقائق، فإن



الأمر كله بيد الله، والأمر كله مرده إلى الله، والله تعالى يؤتي فضله من يشاء، من غير رجوع إلى علم، ولا إلى نفوس، ولا إلى عمل، ولا إلى شيء، إنسان يعطاني من عبده من يشاء، فهد وهب وليس بكسب، يفتح على الإنسان بعد ثلاثين عاما أو صبح عليه بعد ثلاثين دقيقة، يجد نفسه قد جذب إلى الله سبحانه وتعالى، فيكون سلوكه منبها على جذبته، أو أنه يسلك حتى يجذب، فيكون حديثه منبته من سلوكه، فهناك المجدوب السالك والسالك المجدوب

وقد قلت إن الناس على ثلاثة أنحاء: عوام، وخواص، وخواص الخواص، وإن خواص الخواص شأنهم شأن العوام في ظاهريهم، إلا أن قلوبهم معلقة بالعرش، وقدوب العوام معففة بالدنيا، ولكن هذا ينحذ الأسباب، ويندرج تحتها، ويعمل عمل أهل الدنيا وقلبه معنق بالله، والعمي يفعل أيضا عمل أهل الدنيا ولكنه قد ينشعب، وهذا ما ذكروه عن سيد الخلق أجمعين عندما سها في الصلاة:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره * فسها عما سوى الله فالتعظيم لله





(باب)

**في أن قلب العبد له بابان: باب مفتوح على الخلق،
وباب مفتوح على الحق، وأثر ذلك**

تكلّمنا على أن قلب الإنسان له بابان: الباب الأول مفتوح على الخلق، والباب الثاني: مفتوح على الحق، وأن الإنسان بين أربعة أحوال: إمّا أن يغلق عليه البابان، باب الحق، وباب الخلق، فيكون مجنوناً غير مكلف، وإمّا أن يُغلق عليه باب الخلق ويفتح باب الحق، فيمتلئ قلبه بالأنوار، حتّى يُجذّب، ويكون مجذوباً مختلاً؛ لأن الله ﷻ لم يجعل هذه الحالة حالة كمال، بل جعلها حالة من حالات النقص، وإمّا أن يُغلق باب الحق ويفتح باب الخلق، فيكون منغمساً في دنياه، ناسياً لربه، ليس متذكراً ولا متدبراً، وإذا تذكّر تذكّر بلسانه، وإمّا أن يفتح البابان، وهو شأن العارفين بالله ﷻ، وأن الدنيا بشواغلها ومشاعلها تأتي، فتحاول بتياراتها أن تسد باب الخلق، وهذا ما يسمّى بغين الأغيار؛ فالأغيار التي في الدنيا من المشاغل والشواغل تسد على الإنسان باب الحق، ولكن أيضاً قد يحدث كذلك في باب الخلق، فتأتي الأنوار المتكاثرة، فتسد على الإنسان باب الخلق. وحيثُ إننا نحاول هذه الأنوار أن تجعله في درجة أدنى، درجة أقل مما كان هو عليه من قبل.

ورسول الله ﷺ دائم الترقّي في كل أحواله ولا ينتقل إلا من راقٍ إلى أرقى، فقد كان يستغفر رسول الله ﷺ ربه من غين الأنوار لا من غين الأغيار؛ يعني أنواره متلاؤة في قلبه، حتّى يمل الخلق، فيستغفر الله من ذلك الممل؛





لأنه كان مكلفاً بعبادة، ومكلفاً بتسليم، ومكلف بالإرشاد والسير على الناس، فكان يستغفر الله من غيب الأنوار، لا من غيب الأغيار.

وقب في هذا السبب إن الإنسان في هذا الطريق ينبغي عليه أن يذكر الله بصفة معينة مجربة، الذكر أتى به الوحي

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١).

«وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» (٢)،

«وَلَذِكْرِيكَ اللَّهُ شَيْئًا وَالذِّكْرُ» (٣) إلى آخر ما هنالك عن طريق الاتصال برب سبحانه، عن طريق العبادة، والدعاء، والذكر، وفعل الخيرات، فالإنسان ينبغي عليه أن يذكر ربه في كل وقت وحين.

وجاءت التجربة نتيحت من أهل الله على مر العصور عندما التزموا بالقرآن وما ورد فيه، واستمسكوا بطريقته في الذكر والعبادة، نبين لهم صريح قريب للوصف إلى الله، في الأدب معه، فترشدون إليه، فكلبت عن الأذكار بأسماء السبعة والأسماء الستة (السبعة الأصول والستة الفروع)، وقل إن هذا إنما هو من باب الذكر.

وانقلب بعد ذلك إلى التكرار. وبق في الذكر والتكرار إنه قد يحدث هذا في الجلوة، يعني مع مخالطة الناس، وقد يحدث في الخلوة.

وتكسب عن الحدس فيها من أمور، وما تولده من كشف أسرار وعلوم.

(١) سورة عافر، آية: [٦٠]

(٢) سورة الأعراف، آية: [١٨٠].

(٣) سورة الأحزاب، آية: [٣٥].





هذا ليس ملخصاً فقط وإنما هو أيضاً تذكرة؛ لأن هذه الأمور تغيب، وتتخلف عن الناس، فنعيد لها مرة أخرى في سياق واحد، ونسق واحد؛ حتى تثبت في الأذهان، ولكن تحت كل عنوان كلام كثير تكلمناه.

وحتى نستكمل ما نحن فيه من كلامنا على: الملك، والملوك، والأسرار، والأنوار، فإننا سنتكلم عن باقي العوالم الخمسة، وهي: الملك، والملوك، وهما عالمان، ولكن يمكن إدراجهما تحت كلمة: الخلق، يعني تحت كلمة: ما سوى الله ﷻ، أما الله ﷻ فهناك عالم الرحموت، وعالم الجبروت، وعالم اللاهوت؛ فالله ﷻ فيه صفات للجمال هي عالم الرحموت، وفيه صفات للجلال هي عالم الجبروت، وفيه صفات للكمال وهي عالم اللاهوت، مع العالمين الملك والملوك يصبح خمسة: ثلاثة مردها إلى الله الواحد الأحد، واثنان مردهما إلى الخلق.

هناك اتصال بين الإنسان وبين ربه على خمسة أنحاء أو مراتب، يسميها أهل الطريق: (اللطائف الخمسة)، وهي: (القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى)، وهي في عالم الملك الذي نعيش فيه، ذلك العالم المرئي، ذلك الكون الذي يمكن أن ندركه بالحس، هذه الخمسة متدرجة، ولها خمسة أخرى مقابلة، فوق هذه الخمسة التي هي في عالم الملك، مثلها تماماً كالمرآة في تصويرها في عالم الملوك، فيصبح معنا عشر درجات: خمسة في الملك.

وخمسة في الملوك، ثم بعد ذلك هناك أمور مردها إلى العوالم الثلاثة: عالم الجبروت، وعالم الرحموت، وكذلك إلى عالم اللاهوت، وهي نهايتها، فتكون ستة، فتصبح المراتب ست عشرة مرتبة.





هذا غاية ما عثر عنه المعبرون من أهل الله، وهناك أسرار ترد للذاكرين
 لم تفكر في طريق الله لا يحسنون الكلام عنها. إنهم يسعون فيها فقط
 ولا يجدون عبر في اللعبة يسعون فيها فيسكنون لأنها نصيح مسدود. خاصة. وإذا
 وصل أحدنا إليها فإنه يصل إليها بفضل الله. ولذلك لا يحتاج إلى قراءة
 ولا إلى تعليم. إنه هو سيصل إليها مطمئن إذا ما سار على نهج ما كتب. فلا
 حاجة لنا إلى كتابتها، ولا الإفصاح عنها، لأمرين:

الأول: عدم وجود مقدس في اللعبة بتحليلها؛ لأنها أمر جد حصر، واللعبة
 وضعت للتفاهم بين البشر.

والأمر الثاني: أنه لا فائدة في ذكرها. لأن الإنسان إذا لم يصل إليها
 لا ينتفع بها. وإذا وصل إليها حصلها من غير هذه الألفاظ، وهذا هو الذي
 ينكمش عنه أهل الله في كتبهم. عن الأسرار التي تصان عن غير أهلها، أو غير
 المقدور على الكلام عليها.



(باب)

في الذين يُسيئون الظن بأهل الولاية والمعرفة بالله

بعض الناس يسيئون الظن بأولياء الله، يظنون أنهم يتكلمون عن أمور مخالفة للشريعة، وما هي إلا أمور مردّها إلى الأدب مع الله. ولكن بصورة يعجز اللسان، وتعجز اللغة عن أداء مقابلها وهذا هو حقيقتها، كل هذا يعلمنا الأدب أيضًا مع أولياء الله. وأنه لا ينبغي أن نتسرع في التهمة لأمر نهرف فيه بما لا نعرف، ينبغي علينا أن نتأدب معهم، ولذلك يأتي محيي الدين بن العربي ليعطي لنا مثالاً قويًا وحكمًا عجيبيًا ويقول: (التصديق بنا ولاية)؛ لأن التصديق بالولي الذي ظهرت عليه علامات الشرع، وتمسكه، والتزامه بالذكر والفكر، وسيره وأدبه مع الله، وإرشاده للخلق لدين الحق، فالإيمان بما وراء ذلك إنما هو إيمان بالغيب، فالتصديق به ولاية.

(التصديق بنا ولاية) يحملها بعض الناس على أنه وكأنه إرهاب فكري، أو سيطرة على الناس، والأمر ليس كذلك. لا إرهاب فكري في هذا، ولا تسلط، وأولياء الله يفرون من غين الأغيار، وهم يريدون أن يغلقوا قلوبهم عن الخلق؛ فهم لا يريدون أن يروا أحدًا، ولا يطيقون معاشرة أحد، ولكن نحن الذين نجري وراءهم لكن هم يفرون منا، فهم لا يريدون دنيا يتمولونها، ولا يريدون أتباعًا يكهنون أحوالهم، ومن فعل ذلك فهو مُدَّع وليس وليًا من أولياء الله.



يرأى لله نمر من الناس، ويحدث له الصيف من محاضرتهم، فتصبر،
ويستعبر ربه، ويصعد على عتبة حتى يفتح فيه ورادة للناس، لأنه مكلف
بمع المعرفة، والإرشاد أي دين الحق، وأصبح الناس، ولكنه من تنوفه إلى
ربه سهل الناس، ولا يريد أن ينظر في وجوههم من شدة بوجهه أي ربه،
استوى يعب بالقلوب، ويجعلها نعت باب الخلق، وباب الحق مفتوح دائماً.



(باب)

في اللطائف الخمس وكيفية ترقى الإنسان فيها

هذه اللطائف الخمسة: القلب، والروح، والسِر، والخفي، والأخفى، يترقى فيها الإنسان، ويشعر بها في أماكن معينة في صدره؛ فيشعر بنحو برد في الصدر عند الذِّكْر، ويشعر بنحو لذة عجيبة غير موصوفة عند الذِّكْر، ويشعر أيضًا بأماكنها، وهي أماكن معروفة في الصدر، فيترقى مع ترقيه في الذِّكْر والإخلاص فيه. يترقى شيئًا فشيئًا من مرحلة إلى مرحلة. ومن الأدب مع الله ألا ينقل المريد السالك نفسه من مرحلة إلى مرحلة. بل يجعل الله هو الذي ينقله، من الأدب مع الله ألا يتشوف المريد للمرحلة الأعلى بل يرضى ويسلم، وهذا أمر في غاية الصعوبة، لأن الإنسان جُبِلَ على الطموح. وجُبِلَ على الطمع، وجبل على أن يرى نفسه خير الناس، فيحاول أن ينقل نفسه، وهذا ليس من الأدب. ويحاول أن يتشوف وأن يطمح. والطموح والطمع في هذا ضد الأدب. إنما الأدب في الرضا والتسليم. ومن أجل ذلك نرى دائمًا ولي الله السالك الذي عليه السلام دائمًا في تهمة نفسه، دائمًا ينظر إلى ما هو أقل منه، دائمًا يحمد ربنا ﷻ على ما أولاه من نعمه، ولكن الوصول إلى هذه الدرجة العلية أمر يحتاج إلى مجاهدة النفس، وقليل من الناس من يجاهد نفسه، وكثير من الناس يترك نفسه لنفسه ترتع كما تشاء، يقول البوصيري:

والتَّفْسُ كالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ

على حُبِّ الرضاع وإن تطفمه ينظم



فحاذر النفس والشيطان واعصهما
 وإن هما محضاك النصيح فاتهم
 ولا تطع منهما خصماً ولا حَكَمًا
 فانت تعلم كيد الخصم والحكم
 وراعاها وهي في الأعمال سائمة
 فإن هي استحلّت المرعى فلا تسم

سعى أن الإنسان بعمل لله، ولا يسند بهذا العمل أو يتفخر به على
 الآخرين. فينبغي على الإنسان أن يراقب نفسه، وألا ترك نفسه ترتفع كما نشاء
 من غير مرفعه، ومن غير مع، أو حس. أو صبر لها بطريق الله سبحانه وتعالى
 أدب مع الله، إذا فعل الإنسان هذا وجد في نفسه ذلك الصبر، وإذا لم يفعل
 ذلك أغلقت عليه وحب من صمد الحجب الكثيرة التي تتكلم عنها

هذه اللطائف الخمسة لها نعمات تلك اسرارها وبهذه العوالم التي
 ذكرها، ومن أجل ذلك ولكترتها ولنشكها احتاج السالك إلى الشيخ الذي
 يوفر له التجربة، ويوفر عليه أن يدخل في خبر وامتحان، قد لا يقدر عليه
 في بعض الأحيان.

احتاج إلى الشيخ المعتم المرشد الكامل الذي يوجهه، ويريه، ويجدده،
 ويعلمه، ويوفر عليه الأوقات، ويبدله على ربه، وهذا لا بد منه للسالك



(باب)

ومن قواعد الطريق إلى الله : الدِّيْمُومَةُ على العمل

ومن آداب الطريق، ومن قواعده، وحتى يحقق ما نقول من الدِّيْمُومَةُ المذكورة في قوله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(١)، فهذه السيدة عائشة رضي الله عنها تصف سيد الخلق ﷺ فتقول: «كَانَ عَمَلُهُ دِيْمَةً»^(٢) يعني دائماً.

وأهل الله يقولون: (إذا انقطع الوِرد انقطع الوارد)، فقولهم: (من قطع الوِرد) يعني لم يستدمه، ولم يواظب عليه، وأخذ يذكر في يوم دون يوم، (انقطع عنه الوارد)، والوارد هو الذي يرقبه، والوارد هو الذي يجعل هناك تطوراً، وتقدماً، وسعيًا متصلًا في الطريق، هذا هو نفس معنى قولهم: (متفت لا يصل)؛ لأن الملف يقطع عن السير، فينقطع عن الوصول، حيث إنه يلتفت يمينًا ويسارًا كل خطوة، والوارد هذا قد يشتمل على أسرار. وقد يشتمل على أنوار، والوارد يوجه الإنسان، وإن كانت مردوده إلى الملك أو الملكوت، لكن سنتقي منها ما تعلمنا الأدب مع الله، فالواردات من أنوار وأسرار تعلمنا الأدب مع الله، فنزداد بذلك أدبًا، فنصل إلى الله رب العالمين، ولكن من قَطَعَ الورد قطع الوارد.

(١) رواه البخاري في صحيحه: (٢٢٧٣/٥)، ومسلم في صحيحه: (٥٤١/١)، وابن حبان في صحيحه: (٤٤٦/٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: (٧٠١/٢)، ومسلم في صحيحه: (٥٤١/١)، وابن حبان في صحيحه: (٤٠٨/٤)، وابن خزيمة في صحيحه: (٢٦٣/٢) وأبو داود في سننه: (٤٨/٢).

الورد يبدأ بالبناء؛ تريد أن تبني شيئاً وكأنه مخزن نخزن فيه الأنوار
هـ الأسرار . فكيف نبنى هذا ؟ فناموا في أسماء الله ووجدوا فيها سبعة . هذه
السبعة هي غيبها الأعمدة . وهي علم الرب . ونسى الأسقف على هذه
الأعمدة فحدد ثم بعد ذلك جاء الشيخ عبد القادر الجيلاني وقد إن هذا
اسم صحيح إلى حوض حتى يكون مخزن محكم . واخبر ستة أسماء للندوة
بعد السبعة .

هـ حنف هل الله في هذه السبعة كتب تنبي ؟ فكل شيخ له صريته . كما أن
كل مهندس له صريته في بناء الأعمدة والأسقف والحوافظ والمواد التي
يستخدمها . هل هي من مسيح ؟ أم أنها أعمدة حشيشة . أم أنها أعمدة من مواد
س . فثبات . يخلف ولكن الفكرة واحدة . وهي وجود مخزن محكم لموضع
الأسرار والأمر فيها . وقد كل اسم من الأسماء السبعة له رقم عندهم .
فإذا أحفظ الحرف . أصبح الحرف الذي عيسى فيه مخزن عن البحر الذي كانوا
يعيشون فيه .

علم يكن هناك اسم . دقة . لا راديو . ولا رادار . ولا ليفريون . حتى
سكنت أن تصور كيف أن البحر الذي يحيط بنا قد امتلأ بكل أسمة الأرض .
وبكل الصور المنقولة .

و لنسأل عن ذلك أسئلة أسئلة البحار يثيرون وفجده . سيأتي لنا
كل العالم في هذا المكان . فإلى محيط بنا ختلف عما كان يحيط بالإمام
عبد القادر الجيلاني . وهذا يثير . لأننا ونحن سيرة . سيرة في اتجاه خلق الله .
فأسمه نوتر . ومن أجل ذلك جعلوه مائة ألف . فنذكر كل اسم منها مائة ألف .
إلا إذا حدث مائة عرفها السيوخ . العلامات هذه ليست واحدة . ولذلك

لا تقال، إنما يعرفها الشيخ بفراصة وبصيرة، وإذا ما كمناه فإنه يقول: انتقل إلى الاسم الذي بعده يكفيننا هذا، وصلنا إلى مقصودنا من هذه المرحلة والحمد لله، الغرض من بناء المخزن قد تم.

إذن فلنبدأ لمن أراد أن يبدأ بذكر (لا إله إلا الله) مائة، ثم بعد ذلك إذا انتهت منها يدخل في (يا الله)، ثم (يا هو)، وكل هذا الكلام موجود في كتاب: (الهداية) لسيدنا الشيخ، خذوه واقرأوه، وامشوا عليه على نمط ما وصفه، فرصة أن الشيخ أجاز إجازة عامة لمن عاصره بالأخذ عنه في الطريق إلى الله، وهذه الفرصة لا تتكرر كثيرًا، ولا يقوم به الشيخ إلا بتوفيق من الله، وبإذن مخصوص منه، ومثل هذا لا بد أن الشيخ انكشف له فيه سر، وأذن له فيه، فأذن لنا؛ لأنه لا يستطيع أن يأذن من نفسه، أو من هواه؛ لأن هؤلاء الناس تخلصوا من هواهم، فقرأوا هذا وابدأوا فيه، ثم بعد ذلك يفتح الله سبحانه تعالى على من يشاء، ولا يكون مقصود واحد منكم أن يترقى أو أن يكون خيرًا من صاحبه، بل يكون المقصود هو عبادة الله وحده، وأنه لا إله إلا الله، وأنه ينبغي علينا أن نخلص الأمر كله لله، فإذا سرنا على هذا فالأمر واضح.

ثم إن الكم في اليوم حسب المستطاع، خمسمائة، أو ألف، أو ألفان، أو عشرة آلاف، فهي عبادة لا ملجأ فيها إلى التسرع، فنراعي الكم دون التعب ولا نلجأ فيها إلى التهاون والترك فينفرط العقد. وينقطع الوارد! بل علينا أن نستمر في ذلك.

وفي هذا الاستمرار سنرى أحيانًا شدة وتعبًا، وأحيانًا أخرى نرى تيسيرًا، لأن الأمر كله لا نقصد به أن نحصل سعادة دنيوية ولا راحة نفسية، ولا حتى ترقى، إنما نقصد منه عبادة الله، ونقصد به رضا الله، لا نقصد به أيضًا أن هذه



الأنبياء يحق ما تحققه من انوار كونية. لأنه ممكن بالذكر أن ينكشف لي شيء فلا الفت إليه. لأن هد الكشف أنت هو شاغل بشغل السالك في طريق الله، بشغله عن الله فسعي أن لا يفت إليه

وأرجع مره أخرى إلى الذكر. إلى قصد الله، فالله مقصودي ورضاه مطلوبي. هذا هو ملخص المسألة. فإذا سرنا على هذا، وانتهين من الأسماء الثلاثة عشر، بعد ذلك تقرأ الأسماء الحسنى، وبعد انتهائ منها كل سم يوم فإب يصل إلى ورد وذكر معين وجدنا فيه قلبنا. لأن الذكر المقصود به أن يجد المكلف قلبه فيه. والاسم الذي هو كذلك يشتغل به لسكلف إلى أن يموت. مع الورد العدي الذي هو الاستعمار، ولصلاة على النبي ﷺ. (ولا إله إلا الله) في الصباح وفي المساء. ولهذا يكون الإنسان قد دخل في دائرة التذكرين. ثم بعد ذلك تفعل ما شاء. وليس المقصود أن يفعل ما يشاء من إثم ومعصية، بل يفعل ما يشاء من عبادة، وذكر، ونوجه إلى الله، وزيادة في الحير

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فهذا هو المقصود بالكلام.





(باب)

عودة إلى الكلام عن المقامات والأحوال، وأن الكريم سبحانه إذا وهب ما سلب

ومما ذكرنا في طريق الله تعالى قضية المقامات والأحوال، ومررنا عليها، وعرفناها ب: أن المقام أمر مستقر يجد العابد نفسه فيه، إذا ترقى إليه لا يهبط منه. فإن: (الكريم إذا وهب ما سلب)، هذه من قواعد الطريق: الكريم - وهو الله - إذا وهب الإنسان هبة معينة، بأن أعطاه سرًا من الأسرار، أو أكرمه بنور من الأنوار. أو فتح عليه بفتح من الفتوح، أو علمه قضية من القضايا، أو رقاها إلى مقام من مقامات العبودية فإنه سبحانه لا يسلبه، ولكن قد يسلب ثوابه والعياذ بالله . وهذا يسمى الخذلان نعوذ بالله منه، ولذلك فإن أولياء الله ليسوا معصومين، بل هم معرضون تحت قدر الله ﷻ للمعصية، ومعرضون أيضًا للسلب، والسلب هنا هو سلب المكانة وليس سلب المقام، يعنى تجده هو نفسه يشعر بما يشعر به ولكنه يسلب، بمعنى أنه عندما عصى الله تعالى، وأصر على عصيانه، فإن الله ﷻ يسلب منه ثوابه، يوقف الثواب، لكن ما وصل إليه من مقام فإن الكريم إذا وهب ما سلب.

فالمقام مستقر والحال متغير، الحال يرد على الإنسان ويزول، يأتي ويذهب، وهذه الأحوال نجد القلب يمتلئ بها فجأة، ثم بعد ذلك تزول أيضًا فجأة، أي كلمة الحال تعني التغير، والزوال بسرعة، وعدم الاستقرار، والإتيان بطريقة مفاجئة، والذهاب عن القلب بطريقة مفاجئة.



والأحوال هذه هي الصمد من الاله ادات. يعني أن الاله ادات من فسر لأحوال. والإسناد «هو حارس بحد في فسه» لا سدا عليه أن ينوب. فهذا وارد، ويحد أنه لا بد عيب. أن يراف الله في أعماله. فهذا وارد، ويحد أنه لا بد عيب. أن يحد من الفسخ. فهذا وارد. أو أن يحد بالذك الفلاني. فهذا وارد. أو أن يمنع من الشيء. فللإسناد. فهذا وارد من الواردات. ثم يزول هذا الأمر. وتزول الرغبة فيه. وينتهي. وينحول. ولأنك نسني حالا. ودوام الحال من الماحول. والكلام هذا الذي نكلمه هو أصله في الطريق من كلام العلماء والمتصالح. ثم شاع في الناس بعد ذلك. (دوام الحال من الماحول) «وتلك الآيات تداولها بين الناس». ولكن أصبها لب صهرت شاعبت من طريق صوفية (دوام الحال من الماحول) ساداً «لأن حال. ولو بقي ما كان حالا. ولا يكون حينئذ دوام حال من يكون دوام مضم. فالتمتاز من الدوام. واللبث. والاستقرار. وعدم السلب.

هذه المقامات نعلنا وحده مقام مقام. وقد أتت فيها الشيخ الهروي كتاباً أسماه: (منازل السائرين).

نكتسب فساد سنن عن الطريق. وعن ادبه. وعن أركانه. وعمما سعي أن نعلم المراد في سلوكه إلى الله تعالى. وتكلمنا عن الذكر. وعن التكرار. وعن الحلوة. وسأل كثير من الناس أنهم يشعرون أن الصوفية يختلفون عن غيرهم من المسلمين. ندرج أن بعضهم بتهديمهم بأمور. فسر أين أتى هذا سئراً؟ ومن أين أتت هذه الشبهة؟ ولحاصل: أن سر بعت العزاء جاءت لبنا



عن رسول الله ﷺ في صورة الكتاب والسنة، والكتاب والسنة وزدا بلغة العرب، ولغة العرب لها دلالات في ألفاظها وفي تراكيبها، من يقرأ هذه اللغة يفهم عنها أشياء محدّدة معيّنة. تمثل أسس الشريعة، وتمثل الأمر الذي يشترك فيه الكافة، سواء أكانوا من العوام غير السالكين لطريق الله، أو ممن بدأ السير إلى الله ﷻ. أو ممن وصل إلى مراتب القرب فكان من المقربين. وهذا يوافق التكليف، فلتكليف عام يشمل الرجال والنساء، ويشمل العرب والعجم، ويشمل الماضي، والحاضر، والمستقبل. فكل المسلمين كُلفوا بالصلاة، وبالصيام، وبالحج، وبالذكر، وبالامتناع عن المعاصي، وبفعل الخيرات، وهكذا.





(باب)

**في أن الفقهاء يخدمون الشرع من وجه ، وأن الصوفية يخدمون الشرع من وجه ،
وأن الإنسان لا يسير إلا بالمنهجين معاً ، فهما كالجناحين للطائر ، وبيان حقيقة
التصوف ودوره في خدمة الشرع الشريف**

كل المسلمين معهم اللغة التي ينبغي أن يتخذوها في فهم الكتاب والسنة، وعلى ذلك درج الفقهاء، والفقهاء هم أصحاب الشريعة، نظروا في الكتاب والسنة، وفهموا من الكتاب والسنة شريعة الله، وهذه الشريعة، وهذا الفهم فهم أساسي، ينبغي أن نشترك جميعاً فيه: أن الصلاة واجبة، وأن السرقة حرام، وغيرها من الواجبات والمحرمات، وهذا يسمونه بظاهر الشريعة، بعد ذلك، بعد أن آمننا كلنا بهذا اختلفنا، فمنا من وقف عند ظاهر هذا، فعندما سمع الله - تعالى - يقول: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾^(١) عرف ما هي الصلاة، وما إقامتها، وبدأ يسأل كيف نبدأ الصلاة؟ فأجابه الفقيه بالتكبير؛ لأن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٢)، فذهب إلى الصلاة وقال: (الله أكبر)، لم يقل: (الرحمن أكبر)، ولم يقل: (الله أعظم)، ولم يستعمل اسماً آخر غير اسم الله، وعلى ذلك فاستعمال اسم الله واجب، لا بد أن نقول: (الله)، لا يصح أن نقول: الرحمن، ولا القوي، ولا المتين، وإن كانت من أسماء الله الحسنى.

(١) سورة الإسراء، آية: [٧٨].

(٢) رواه البخاري في صحيحه: (٢٢٦/١)، وابن حبان في صحيحه: (٥٤١/٤)، وابن خزيمة في صحيحه: (٢٠٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٣٤٥٢).



وتعبر (كبر) ولا تحفه تحفه من سنحتها : كلاحر ، وكلا عظم . يقول
(الله أكبر) . وذلك أن النبي . قال هذا . وقال صلوا كما رأيتموني أصلي .

ولما عينا بعد صلاة أن ركع . لا أن يسجد . ولا يحور لأحد من
المسلمين أن يسجد . ثم يقوم بركع . فتقدم السجود على الركوع . وما ذلك إلا
لأن النبي . فعل هذا . وأما أن تبعه فيما فعل . وضع اليد على اليد حينه .
وقراءه سورة من بعد الصلاة . والسيح أثناء الركوع حينه . ومعنى الهبة
أن الإنسان لم يركع . ولا عمدا فلا نبي . عنه . إما يكون زاهدا في تحصيل
الشراب والأجرا . وأخذ هذا الإنسان يسأل عن صلاة كسرة كدمة . وفعلا فعلا .
وسئل سئل . ويعلمها . وينها . فهو يسأل كيف أصلي . لكنه قللا ما يسأل عن
الحسوع . وقللا ما يسأل عن كيف يستحضر الله . في قلبه وهو قائم بصلي .
وقللا ما يسأل عن سر الصلاة . وهدفها . والحكمة أن فرضها الله . عليه .
قللا ما يسأل عن معنى هذه الكسرة (الصلاة) أم الفقه الذي يبحث عن
هشها . وعن كيفية إبداءه . فيقول (الصلاة من العطف) . وينتهي بحثه هنا

لكن الثاني وهو . مصوف . لا تفت عند طاهر الصلاة . وإسا يبحث عن
مها . وحكمها . ونحوها . وما ترتب على الأثر القلبي منها . وكيف يحشع
فيها . وكيف يذكر الله . حصره من حلالها . وكيف يؤدي هذه الصلاة بعد
ذلك إلى أن تنهه عن حشء والمسكر . وكيف يجعل هذه الصلاة في وسط
ذكر الله . ويجعل ذكره المحيط بها . من قبلها . ومن بعدها . وفيها . حتى يتحقق
قوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١) .

(١) سورة العنكبوت، آية: [٥٥].

الصوفي لا يقف عند هذه الدرجة، لكنه لا ينكرها، وهو يتعلم الصلاة كما يتعلم الناس، إلا أنه لا يقف عند ظواهرها وشكلها كما يقف الناس.

إذا سئل الفقيه عن اخشوع ما هو؟ فقال: أن يضع الإنسان بصره موضع سجوده، فاستدل بالحركة، وبالجراحة الظاهرة على ما في القلب والأمر ليس كذلك؛ لأن هذه مجرد علامة قد توجد ولا يوجد خشوع في القلب.

إذا الصوفي لا يقف عند النصوص، لكنه لا ينكرها، وهو لا يقف عند الظواهر، لكنه لا يتركها. إنما يطلب ما هو فوق ذلك، يطلب أثر دلالة النصوص، ولوازم النصوص، وآداب النصوص.

إذا يفرق المتصوف عن غيره أنه يطلب الأدب للأشياء، وغيره يطلب الأشياء، وهناك فارق بين من طلب الشيء وأدبه، وبين من طلب الشيء وغفل عن أدبه!

هناك فريو صال مضل. ذهب إلى أنه يمكن أن نحصل الآداب دون الأشياء. وأن نحصل الثمرة دون الشجرة، أو أن نحصل الشجرة دون البذرة. وهو ضرب من الخبل، وهؤلاء تسمّوا بالباطنية. والباطنية كانت تأخذ ظلال الأشياء، وفي بعض الأحيان آدابها، ولوازمها. وتترك الشيء نفسه، فتأتي وتقول: (إن الصلاة عبارة عن لتوجه إلى الشيخ، أو الإمام المعصوم)، أو غير ذلك من الأقوال الباطلة. لكن ليست هي الخمسة التي عرفناها من شرع الله. ولا أن الظهر أربع ركعات. ولا أن الركوع قبل السجود، ولا مثل هذا، والوضوء معناه أن نظهر قلوبنا من بعض التوجهات والتوجسات ويكفي هذا، والامتثال معناه... وهكذا.



فأصبح عندنا ثلاث فرق: فرقة تنسك بالظاهر وتترك الآداب، وفرقة تنسك بالآداب وتترك الطواهر، وفرقة تجمع بينهما وهم المتصوفة على الحقيقة.

وهم قد شابهوا الباطنية في الظاهر وفي الصورة، من حيث إهمهم بهتسون بالآداب كما هم به الباطنية، ولكنهم يخالفونهم في الحقيقة، لأنهم ينسكون بهذه الطواهر تنسك تاماً، ويرون أن التبريط بها يخرج الإنسان عن السنة، هذا هو الفرق بين الصوفية وبين عموم الناس، وبين الصوفية وبين الباطنية، فبما اتهموا به من أنهم قد انتركوا مع الباطنية في شيء.

الصوفية هم أهل الله؛ لأنهم حافظوا على الوسيلة، وعلى المقصد، أما من شغلته الوسيلة عن المقصد فهو في غملة، ومن ادعى الوصول إلى المقصد بدون وسيلة فهو في كمر وردقة، ومن هنا أتت القاعدة لدهبية الصوفية التي تقول: (من تشرع دون أن يحقق فقد تمسق، ومن تحقق دون أن يتشرع فقد تزندق، ومن تشرع وتحقق فهو الموفق) فجمعوا بين الأمرين.

فالذي يترك الصلاة ويدعى أنه يخشع، وأنه يعد، هذا زنديق، والذي يتسك بالصلاة ويترك آثارها، لينهي عن المنكر والفاحشة، ويترك آثارها من الخشوع، فهذا ظاهره الخير، وباطنه من قبله العذاب.

هذا هو الحال، وهذه هي التهمة، وهذه هي القاعدة، فالقاعدة التي معنا: من شرع ولم يتحقق فقد تمسق، ومعلوم أن الفسق معناه فيه قصور ومعضبة وشيء من هذا القبيل، إلا أنه مسلم، ومن تحقق دون أن تشرع فقد تزندق، لأن الشريعة أساس من الأسس، وهي بداية كل شيء، وهي الوعاء الذي يحمل فيه الخير، وهي لا يمكن تركها لبيان الحقيقة أو رفض التهمة، فينبغي علينا أن نفهم الموقف الصوفي الحقيقي.



الزنديق في الحقيقة يطلق على المنافق، ويطلق أيضًا على العَدَمي، والعدمي هو الذي يصلي الفرض وينقض الأرض، وهذا كان من أشد أنواع السرقة والعدوان، والاعتصاب والإجرام، أن الإنسان يأتي فيستأجر بيتًا بجوار بيت غني، ويأخذ في عمل نفق في الأرض حتى يصل إلى البيت من الأرض، لا من الشباك، ولا من الباب. لا يأتيه من السماء، ولا يأتيه من المواجهة، بل يأتيه من الأرض، هذا يحتاج إلى وقت. ويحتاج إلى آلة، ويحتاج إلى فن وقُدرة، حتى ينشئ هذا النفق، يعني كان ينقض الأرض حتى يسرق الجيران فهو مجرم أصلي، مجرم محترف، مجرم مستديم، لأنه عنده فن وعنده صبر ووقت. وهو لا يتوب ولا يرجع وكذا إلى آخره.. فإذا ضم إلى إجرامه هذا - المتأصل والمتجبر، والذي لا ينفك عنه أبدًا، والذي يخالط قلبه بهذه الصفة، إذا انضم إلى ذلك - أنه يصلي، إذا فالصلاة هذه تكون لإخفاء هذه الجريمة، فيزداد بذلك إثمًا، لأنه يستغل أمرًا من أمور الدين لإخفاء جريمته ونصبه وسرقته، فهذا معنى المثل السابق: (يصلي الفرض وينقض الأرض)، يعني أن الصلاة لم تكن في ذهنه أبدًا إلا من أجل أن يخفي جريمته، وأن يخفي حاله الرديء. هذه هي الزندقة؛ يذهب فيصلي، ثم بعد ذلك يفعل بنفسه الكيفية في الصلاة المعاصي. هذا الإنسان المتناقض الذي لا يندم، ولا يرجع، ويستمر في معصيته ويستحلها زنديق، وهذا شأن هؤلاء الناس الذين يَدْعُونَ الشريعة، وَيَدْعُونَ أنهم على خلق طيب، وأن بينهم وبين الله عمارًا، وأنهم ليسوا في حاجة إلى هذه الشريعة بالمرة، لأنهم قد وصلوا إلى الله ﷻ أدبًا، هذا دجال زنديق كما قال أهل الله.

هذه القواعد وضعوها لنا لحمايتنا ونحن نسير في طريق الله من خاطر شيطاني أو بدعة مبتدع أو هوى ضال يريد أن يلفتنا عن الله ورسوله وشريعته.

بعض الناس ساء لهذه الدار، أصل التصوف، وسد باب، وسد على نفسه
أحبر الكبر، وأعلى على نفسه الباب لا على غيره^١، والله^٢، عندما نزل الشرع
أمر لها لهذه الطاعة وهذه العادة، وهذه الآثار، لأن هذا هو الذي نزل الأنوار،
وهو الذي يهدي لئال، وهو الذي يحقق السعادة، وهو الذي جعل الإنسان
محرم مع ربه ومع نفسه، والله^٣ في احترامه لعهده يقول إن الله يباهي بهم
ملائكته، فإنه^٤ يباهي ملائكته، والنبي^٥ يظن بئس الكعبه ويقول ما أشد
خرمتك على الله، ولدم امرئ مسلم أشد عند الله حرمة منك^٦،

فإنه^٧ يحب صعبته، ويحب من صعبته من أطاعه، ويحب من أطاعه
من حقق في قلبه العبودية له، ولا يتأتى ذلك إلا بشمار العبادة.

إذا السراال ما الفرق بين الصوفي وبين غيره^٨ هو الفرق بين من سلك في
طريق الله وبين من تزندق وخرج.

تم يسأل أحدهم هل ينبغي للصوفي أن يلتفت إلى ذلك؟ وإجابة
مكرره. لا لا ينبغي له أن يفت إلى شيء سوى الله^٩، وقلت قبل ذلك
إن الله أحسن تسامح في نفسه، فمنها أنه أحسن وإلى الله في الناس

إذا الصوفي هذا من سحبال في طريقة، أو في دفتر، أو في منبخته،
أو أنه نطق على نفسه هذا، هذا يكون من (لصوفيه)، كما كان فضيله الإمام
حسة الله عليه، يخلق عديهم، التصوف ليس عنوان، ولا اسم، ولا هو
سحبال في جمعة خيرية مسجلة في السور الاجتماعية، التصوف حالة فب

(١) رواه الترمذي في السنن: (٣٨٧/٤)، وابن ماجه في السنن: (١٢٩٧/٢)، والطبراني في
الأوسط: (٣٦/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٢٩٦/٥)، وانظر المقاصد الحسنة:
(ص ٦٨٤).



مع الله. حالة القلب مع الله هذه قد تكون فيمن أظنه أنه ليس كذلك، ولذلك فلا ينبغي إذا ما دخلت في الطريق أن أرى نفسي قد تميزت عن الناس؛ لأن التميز هذا في حد ذاته يقدح في الإخلاص، أنا لا أتميز عن الناس لأنه قد يكون شخصاً، وأنا أظن أنه لا علاقة له بهذا الطريق لأنه ليس له اسم وليس له طريقة. أفضل مني عند الله: لأن قلبه قد تعلق بربه ففاز وسبق، والأمر أمر قلب وليس اسم ولا لقب. وقد قالوا في هذا المعنى: (الأمر أمر قلب وليس أمر لقب). وهذه قاعدة: أنا اسمي نقشبندي، أو شاذلي، أو أنا محمدي أو كذا.. إلى آخره، نعم كن هكذا لا بأس، ولكن ينبغي أن نكون على وعي بأننا لا نتميز بذلك عن خلق الله، وأنت أضعف من رأيت، فلعل الآخر أن يكون أسبق مني عند الله.



(باب)

**في أن الفقه والنحو والتصوف والتفسير وغيرها كلها علوم أصلية ،
استخرجت من مصادر الشرع الشريف ، فإلمستحدث فيها هو التقعيد ،
لكن أصولها في نصوص الشرع الشريف**

هناك إذا تدوين للعلوم لم يكن هناك على عصر النبي ﷺ ولا صحابته
الكرام رضي الله عنهم ، كلمة تسمى بالنحو وهذا اسم جديد، ولا الصرف، ولم يكن
هناك علماً يسمى بعلم الحديث ولا بالتفسير ولا بالفقه ولا بالسيرة وهكذا..
فلِمَ نسمي هذه الأسماء؟

هذا نوع من أنواع التبويب. ونوع أيضاً من أنواع العلوم المساعدة للعمل؛
فالتفسير يساعد على فهم كلام الله لكن لم يدع أحد أن إنساناً قد فسر القرآن
بكل ما فيه، والنبي ﷺ يفهمنا ذلك ويقول: لا تنتهي عجائبه.

ولم يدع أحد أنه أحاط بالسنة رواية، أو أنه أحاط بها فهماً ودراية،
لا المجتهدون العظام ولا غيرهم، ولم يدع أحد أنه أحاط بلغة العرب بدلالاتها
وتراكيبها، وكذا وفي ألفاظها حتى قال الإمام الشافعي: لا يحيط باللغة
إلا نبي.

ولم يدع أحد أنه جمع كل أحوال النبي ﷺ لا الصحابة ولا من بعدهم،
ولم يدع أحد أنه ورث عن النبي ﷺ كمال ما كن عنده. حتى الورثة
المحمديون لم يدعوا ذلك، إنما كل واحد يأخذ من رسول الله ﷺ شعاعاً



وفرد من متجره، وعرف من حرجه، والمتصوفة هم النخبة، هم الخاصة الذين تخصصوا في حماية درجة الإحسان.

لما جاء حرييل عليه السلام، نعلم الأمة أمر دينها سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان، فدمت صائفة تحمي الإيمان منهم عشاء الموحيد، وقامت طائفة أخرى تحمي الإسلام منهم علماء الفقه، وقامت طائفة تحمي الإحسان منهم الصوفية، فعندما تأتي وتقول: لهم تسعون مؤلفاً، فقهاء؟ وهل أهل الموحيد يسوا بفقهائهم؟ وهل المتصوفة ليسوا بفقهاء؟

الفقه في اللغة الفهم، فهم جمعونه بعد ما ورد من ناحية أنهم يجعلونه عند علي الأحكام الشرعية العممية، هذا يريد العلم، ولأنها أمة علم، تحب العلم، وسعى إليه، وسعى به، وهي أمة علم على الخير والهدى؛ لأن اليهود من اسم العلم أضف، لكنهم على ضلالة، وعلى غصب، يعرفون الحق ويحذرون عنه، أم الأمة الإسلامية فتعرف الحق ونوحى أن تعمل به، أم الصوفية فهم الذين يبحثون عن الحقائق، وينصرون هذا الجانب.

كلم الصوفية عن النبوة، لسرافته وأحب في الله والمعصية في الله، وعن تحديه النفس من الحسد والحسد ومن الغيرة، وعن التوكل، والرضا، والتسليم، وعن الذكر، وعن الفكر.... إلخ هذه المعاني.

إذا ذهبت إلى أي كتاب من كتب الموحيد ترى أنها بكلم عن الوجود والعدم، وتكلم عن صفة الاله، وعن حالة النبوة، وعن يوم القيامة، وفيه من الجنة، النار، الصراط وكذا إلى آخره، وانتهى الكتاب ولم يذكر لي في أي مكان منه ما يتعلق بهذا الذي ذكرناه.





ثم إنني أفتح كتاب الفقه فإذا بي أمام كيفية الوضوء، وكيفية الصلاة، وكيفية الصيام، وما الذي يفسد الحج؟ ومن الذين نعطيهم الزكاة؟ وينتهي الكتاب بعدما قرأنا الجهاد والطلاق والزواج وليس فيه شيء من هذا الذي نريده... فأين أبحث؟!

أبحث في علم آخر ليس هذا ولا ذاك، فذهبت إلى التفسير فوجدته يفسر القرآن ويتكلم أيضًا عن بعض الأحكام وبعض السير وبعض الأحاديث، ولم أجد في التفسير هذا.

فذهبت إلى الحديث فوجدته يروي عن رسول الله ﷺ، ويصحح، ويضعف، ويتكلم عن الرجال: من الذي قابل من، ومن الذي كان ثقة، ومن الذي كان ضعيفًا وأصابه النسيان، ولم يتكلم عن هذا الذي نبحث عنه.

الذي تكلم عن هذا كتاب: (الرسالة القشيرية) للقشيري، وكتاب: (قوت القلوب) لأبي طالب المكي، وكتب: (إحياء علوم الدين) للغزالي، والذي تكلم عن هذا كتاب: (الأكياس والمغترين) للحكيم الترمذي. والذي تكلم عن هذا فلان وفلان وهكذا.. في المكتبة أين نصنف هؤلاء؟ أذهب إلى التفسير.. ليس هذا من موضوع التفسير، ولا من موضوع الحديث. ولا من موضوع التوحيد. ولا من موضوع الأصول، ولا من موضوع الفقه. ولا من موضوع النحو، ولا من موضوع الصرف.

فهل أُلقي هذه العلوم أم ماذا أفعل؟ فسمي هؤلاء بالمتصوفة. من أين جاء هذا الكلام؟ فهؤلاء قد صفت قلوبهم لذكر الله تعالى فسموا متصوفة بهذا الصفاء الذي أشار إليه رسول الله ﷺ في الحديث حيث يقول: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وأهل الله الذين اشتغلوا بهذا الفن.





ان الله علموا هذا العلم لاجل هذا العبد. يقولون ان العبد به الاولى اعلى من
المرتبته التايه. عني اعبد الله حتى تصل الى حاله القرب وكنت سراه. فإن لم
تصل الى هذه المرحله فنزل الى مرحله اقل منها وهو اعتقادك انه يراك

فيما حدثت حسن سر من به. وبفهمه. وتذوق بعد التهم. وتذوق هذا من
صفاء الصوفي، وهو أنه يتذوق، أنه يتعلم شيئاً آخر.

وعادة الله بدن منقش عنده. وعلى وجوبها. وعلى الاستمرار بها. وكونها
تصل الى مرحله التدوق. هذا امر حرج سعى عيب أن يلتفت إليه. وعندما أعلق
عني نفسي هذا الباب يذهب عني الخير الكبير. وأظن في طواهر لا معنى لها

هذا نكون قد جئت بعض حوائب التصوف من ناحية الصدر والاستعداد.
ومكنة العلم والعمل فيه. مع ان كنت سسر لسناك في سيره الى الذات
العبد. وهي حوائب أحسب أنها قد لايسع الباحث الوقوف عليها. والتعامل
معها بحده واستقلال والله تعالى من وراء القصد. وهو حسب ونعم الوكيل



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

٧	مقدمة
٩	حديث جبريل وأنه أصل بُنِت عليه الأمة علوم: الفقه، والعقيدة، والتزكية.....
	(باب) التصوف علم مبني على الكتاب والسنة وعلى ما عمل به الصالحون وجربوه في إطار
١٣	الكتاب والسنة
١٥	(باب) من قواعد الطريق إلى الله: أن الله مقصود الكل
١٧	(باب) ومن قواعد الطريق: أن ملتفتًا في طريق الله لا يصل
١٩	(باب) وجود الشيخ المُرتبي ضرورة في السير إلى الله
٢١	(باب) أركان الطريق إلى الله:
٢١	الشيخ ، والمريد ، والمهجع ، وأن الباطن والظاهر وجهان لشيء واحد لا يتعرضان أبدًا
٢٥	(باب) السير إلى الله يزول معه التكلف ولكنه لا يسقط التكليف أبدًا
٢٧	(باب) من قواعد الطريق إلى الله: أن العبرة بمن صدق، وليست بمن سبق
٢٩	(باب) بيان معنى السير إلى الله، وبيان معنى التحلي والتجلي والتجلي
٣٣	(باب) بيان أن السير إلى الله فيه تعامل مع المُلْك والمَلَكُوت والأنوار والأسرار
٣٥	(باب) بيان معنى الكشف والفتح أنهما لا عبرة بهما إلا إذا ازداد بهما العبد أدبًا مع الله
٣٩	(باب) عودة إلى بيان معنى أد: ملتفت في طريق الله لا يصل
٤٣	(باب) بيان مراتب النفس البشرية وكيفية التعامل مع كل مرتبة
	(باب) في الحُجب التي تُحجب النفس عن الله تعالى، وأن الفكر والذكر هما سبيل
٥٣	الخلاص من تلك الحجب
٥٩	(باب) في أن طريق الله يشبه الدائرة، وأن المسالك وإن تعددت فإنها توصل إلى مركزها
٦٣	(باب) في أن معايشة السلوك إلى الله إما بالمعرفة وإما بالعمل والتطبيق والتذوق



70

سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

V \

V 9

10

97

99

(باب) في أن قلب العبد له بابان باب مفتوح على الخلق، وباب مفتوح على الحق، وأشر

7. 2. 19

11

1

1

99

(باب) في أن الفقهاء يخدمون الشرع من وجه، وأن الصوفية يخدمون الشرع من وجه، وأن

الإيمان لا يسير إلا بالمنهجين معاً، فهما كالجناحين للطائر، وبيان حقيقة التصوف

•

(ب) في ان الفقه والنحو والتصوف والتفسير وغيرها كلها علوم أصلية، استخرجت من

مصادر التفرع الشريف، فالمستحدث فيها هو التقعيد، لكن أصولها في نصوص

44 45

1



من إصداراتنا

كتب:

د. علي جمعة:

- * الكامن في الحضارة الإسلامية.
- * تيسير النهج في شرح مناسك الحج.
- * الطريق إلى الله.
- * فتاوى القرن الجديد.
- * خطب الجمعة (سلسلة الوحي والقرآن).
- * خطب الجمعة (سلسلة النبي ﷺ).
- * خطب الجمعة (التربية والسلوك).
- * المنح الإلهية في شرح الحكم العطائية.

الشيخ / أحمد صالح:

- * مفتاح السير من حياة خير البشر ﷺ.

المستشار / مصطفى سعيان:

- * الورقات في الإصلاح.
- * ملامح التجديد.

د. مصطفى البدوي:

- * لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات.
- * علامات آخر الزمان بين العولمة والإرهاب.

الشيخ / حسنين مخلوف:

* شرح أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها.

اسطوانات:

- * سلسلة الحكم العطائية.
- * سلسلة الخطب.
- * فضحات رمضانية (cd).
- * سلسلة إحياء علوم الدين.
- * محاضرة الإفتاء بين الفقه والواقع.
- * سلسلة محاضرات منازل السائرين.

كاسيت:

د. علي جمعة:

* سلسلة محاضرات منازل السائرين. (٨ شرائط).

* خطب:

- ١- غارات تبشيرية.
- ٢- جاءت اللجنة وذهبت.
- ٣- قرآن الحق وفرقان الباطل.
- ٤- إنا كفييناك المستهزئين.
- ٥- ماذا بعد رمضان.
- ٦- جاءت اللجنة وذهبت.

إصدارات البرامج:

د. علي جمعة:

- * الحكم العطائية (فيديو).
- * فضحات رمضانية (صوت).
- * موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (فيديو).
- * النبراس (صوت).
- * شرح الزبد (صوت).
- * السلسلة النورانية في التربية الربانية. (فيديو).
- * منازل السائرين (صوت).
- * فقه السيرة (فيديو).
- * الخطاب الديني (فيديو).
- * القيم (فيديو).

- * الإدارة في الإسلام (صوت).
- * السنن الإلهية في القرآن (فيديو)
- * عوائق الوحدة الإسلامية (فيديو).
- * أصول الفقه الحضاري (فيديو).
- * الإفتاء بين الفقه والواقع (فيديو).
- * المدخل إلى التصوف (فيديو).
- * التصوف وتحديات العصر (فيديو).
- * أسماء الله الحسنى (صوت).
- * رسول الله يسأل رسول الله (فيديو).
- * محطات للتذكرة (فيديو).

محاضرات :

- ١- الكامن في الحضارة الإسلامية.
- ٢- الإفتاء بين الفقه والواقع.





فضيلة الإمام العلامة نور الدين
علي جمعة
مفتي الديار المصرية

الطريق إلى الله

هو الطريق الواصل ما بين الدنيا والآخرة، وهو الفرقان الفاصل ما بين أهل الهدى وأهل الضلالة!! إنه الطريق إلى الله!!

وللطريق إلى الله تعالى آداب، ومعالم، وشمائل، ومنارات، وهو حصيلة تجارب الصالحين، وأذواق الصادقين، السائرين إلى الله على بصيرة، المستمسكين بالكتاب والسنة، المحققين لقاصدهما، والذين هم أهل الوراثة الحمدية خلقا، وهديا، وسمتا، ومعرفة بالله تعالى.

وما أحوج المؤمن في سيره إلى مولاه من معرفة تلك السبل، ولذلك نقدم إليك هذا الكتاب، الذي تعرض فيه لكل ذلك بالشرح والتحليل، سماحة العلامة الجليل، الإمام الشيخ/ علي جمعة مفتي الديار المصرية، فهو ثمرة جديدة، من ثمار علومه ومعارفه، حفظه الله تعالى ورعاه .

الناشر



الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر

تراثنا ... أمانة في أعناقنا

كافة الحقوق محفوظة لشركة الوابل الصيب للإنتاج والتوزيع والنشر
٧٠٤٧ شارع ١٧ - المقطم - القاهرة - مصر

تليفون : +202-25076145 / +202-25087383

+202-25057830 / +202-0181755566

www.alwabel.com E.mail : info@alwabel.com

www.alimamalalima.com